



الحوض الأعلى لنهر الدانوب بين الميروفنجيين والسلاف الغربيين

(خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين)

د. خالد عبد البديع رضوان

مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب-جامعة سوهاج

الاختصارات:

A. I. P. H. O. = *l`Annuaire de L`Institut de Philologie et d`Histoire Orientales.*

B. S. = *Byzantinoslavica*

B. S. P. F. = *Bulletin de la Société préhistorique de France*

B Z. = *Byzantion.*

C. A. H. = *Cambridge Ancient History*

C. E. H. = *the Cambridge Economic History*

D. O. P. = *Dumbarton Oaks Papers*

C. M. H. = *Cambridge Medieval History*

C. R. S. A. I. B. L. = *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*

E. C. E = *East central Europe. L'Europe du centre-est*

H. D. B = *History Dictionary of Byzantium.*

J. A. S. C. S. A. = *The Journal of the American School of Classical Studies at Athens*

J. E. C. S. = *Journal of Early Christian Studies.*

J. P. E. = *Journal of Political Economy.*

J. Q. R. = *the Jewish Quarterly Review*

J. R. S. = *the Journal of Roman Studies.*

N. C. M. H = *New Cambridge Medieval History*



M. G. H. SS. R. M. = Monumenta Germaniae Historica Scriptores rerum merovingicarum

M. G. T = Mémoires de Grégoire de Tours

O. D. B = The Oxford Dictionary of Byzantium.

R. B. P. H. = Revue Belge de Philologie et d'Histoire.

R. P. R. = Regesta Pontificum Romanorum

S. E. E. R. = the Slavonic and East European Review.

S. S. B. P. = Studia Slavica et Balcanica Petropolitana

نفوذ الميروفنجيين في الحوض الأعلى لنهر الدانوب:

استوطن الفرنجة إقليم غالة في القرن الخامس الميلادي^(١)، الذي شهد زوال القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية سنة ٤٧٦م على يد أواكر Odoacer أحد زعماء قبيلة أسكيري الجرمانية، كما شهد صعود المؤسس الحقيقي للمملكة الميروفنجية كلوفيس Clovis الأول (٤٨١ - ٥١١م)^(٢).

(١) كان الفرنجة فرعين: السالين (البحريين) والريبارين (البريين)، وقد أنزل الإمبراطور جوليان فرعهم السالي سنة ٣٥٨م في أعلى حوض نهر الراين (بلجيكا)، شريطة دخولهم في تحالف مع الإمبراطورية، في الوقت الذي أزم فرعهم الريبواري بالبقاء شرقي نهر الراين. للمزيد من التفاصيل، راجع: السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٦٨، ص ٩٤.

(٢) أخذ الفرنجة اسم مملكتهم الوليدة (ميروفنجية) من اسم أحد قادتهم القدامى: ميروفينش Mérovée، الذي دارت حوله الأساطير، وذكره الناس بآيات الإجلال والتقدير، ووضعوا الصفات نفسها في كل الحكام الذين خرجوا من نسله، راجع:

Grégoire de Tour, Hist. des Francs, Trad., R. Latouche, Paris, 1963, t. 1, liv. 2, p. 99; Liber Historiae Francorum, M. G. H. SS, R. M, V. 2, pp. 246- 247; أيضاً راجع، محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٥٣.



لم يكن كلوفيس زعيماً جرمانياً طموحاً فحسب ، بل كان سياسياً برجماتياً من الطراز الأول، فلم يترك فرصة إلا استغلها لتأسيس مملكة فرنجية قوية في غالة ، فدخل في علاقات صداقة ومودة مع القبائل الجرمانية المجاورة له ، ثم ما لبث أن بطش بهذه القبائل متى سنحت له الفرصة ، ودحرها الواحدة تلو الأخرى. ولم ينفذ عهد هذا الحاكم الداهية حتى بسط الفرنجة أيديهم على معظم غالة، وصارت لهم منافذ جنوبية على تجارة البحر المتوسط عند موانئ: مارسيليا Marsille ، وأرل Arles ، وناربونة Narbonne^(٣).

على أن كلوفيس قبل موته قسم مملكته بين أولاده ، ورسخ عادة سيئة اتبعتها أولاده وأحفاده من بعده ، الأمر الذي أدى إلى ظهور عدة حُكام في المملكة في الوقت نفسه، كلهم ميروفنجيون، مما أدى إلى وقوع خلافات وصراعات دموية بينهم، استغرقت الفترة بين سنتي (٥١١ - ٥٦١م)، حتى انتهى الأمر إلى ظهور ثلاث ممالك: واحدة في شمال شرق غالة، وحملت اسم "فرانكيا" أو "أوستريا" أو "أوستراسيا" Austrasia، وسكانها صاروا الفرنجة الشرقيين، والثانية في شمالي غالة إلى الغرب حملت اسم نستريا

(٣) اعتنق كلوفيس المسيحية ودخل في علاقات صداقة ومودة مع بابوات روما، كما كانت علاقته حسنة بالباطرة البيزنطيين، وهذا ساعده على تنفيذ مشروعه التوسعي على حساب الجرمان المجاورين لدولته، فقد جاور البرجنديين في غالة، وحظي بصداقتهم بعد زواجه من أميرتهم كلوتيلده، فتعاونوا معه في حروبه، عندها استولى سنة ٤٨٦م على مدينة سواسون Soisson آخر موضع يحمل الثقافة الرومانية في غالة، وقاتل قبائل الأليمانى شرقى الراين سنة ٤٩٦م، وهزمهم بمعونة ابن عمه سيجبرت ملك الريواريين، الذى دبر كلوفيس مقتله بعد ذلك، وسعى إلى ضم أملاكه، وفي الوقت الذى واد ملك القوط الشرقيين فى إيطاليا ثيودريك، وزوجه أخته، حارب كلوفيس القوط الغربيين فى جنوب غالة، وهزمهم قرب بواتيه سنة ٥٠٧م، وطردهم من تولوزه عاصمتهم القديمة، راجع: محمد مرسى الشيخ، الممالك الجرمانية، الإسكندرية، ١٩٧٥، ص ١٩٠ وما يليها؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، إسكندرية، ١٩٨٦، ص ٨٩ - ٩٧.

Van dam, Merovingian Gaul and the Frankish conquests, N. C. M. H, 1, pp. 197- 198.



Neustria ، وسكانها أصبحوا الفرنجة الغربيين، والثالثة وقعت في وسط غالة إلى الجنوب ، شملت أملاك البرجنديين القديمة ، ومن ثم حملت اسم "برجنديا" Burgundy^(٤).

على أن هذا الخلاف بين الميروفنجيين لم يعقهم عن التوسع في وسط أوروبا وغربها، حتى بسطوا أملاكهم على رقعة واسعة منها، وأوغلوا في الحوض الأعلى من نهر الدانوب، شرقي نهر الراين، وحازوا الأقاليم التي شكلت ألمانيا فيما بعد، ففرضوا سيادتهم على السكسون في أقصى الشمال الشرقي، وعلى البافاريين في الجنوب الشرقي، كما أنهم نجحوا سنة ٥٣١م في الاستيلاء على إقليم ثورنجيا Thuringia ، الذي استمد اسمه من قبائل الثورنجيين الجرمانية^(٥)، وكان على قدر كبير من الأهمية التجارية؛ لقربه من منابع نهر الدانوب.

يقع إقليم ثورنجيا بين عدة أنهار: فمن الشرق يطل على نهر الإلب Elbe ، ومن الغرب يطل على نهر الويزر Weser ، ويمر عبر أراضي نهران: السال Saale ، وأنستركت Unstruct ، وهذه الأنهار وفرت أرضاً خصبة صالحة للزراعة والرعي ، كما أنها كانت مجارى مائية صالحة للملاحة ، ولذلك شهدت نشاطاً تجارياً، فضلاً عن أنها مثلت أيضاً خطوط مواصلات^(٦).

(٤) محمد الشيخ، الممالك الجرمانية، ص ١٩٢؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٩٨؛ أيضاً انظر:

Wood (I.), the Merovingian kingdoms (450– 751), London, 1994, pp. 55– 58.

(٥) Van dam, Merovingian Gaul and the Frankish conquests, pp. 200– 201.

(٦) Lombard (M.), les Métaux dans l'ancien monde (5– 11) Siècle, 2001, v.2, p.85.



وقد أشار مؤرخ الفرنجة جريجوري التوري^(٧) في عدة مناسبات إلى إصرار الفرنجة على بسط أيديهم على هذا الإقليم ، بل وذهب إلى الاعتقاد بأن ثورنجيا كانت من مرابعهم القديمة شرقي الراين قبل العبور إلى غالة في القرن الخامس الميلادي^(٨)، فهل أدرك الميروفنجيون منذ البداية أهمية هذا الإقليم كمنفذ لتجارة نهر الدانوب؟
ومعروف أن المجتمع الميروفنجي مارس الزراعة كنشاط اقتصادي ، وهذا أمر فرضته ظروف حياة الفرنجة الأوائل شرقي نهر الراين ، حيث الحقول والكلأ وتربية الماشية ، لكنهم سعوا أيضاً إلى ممارسة التجارة منذ أن شرعوا في تأسيس دولتهم ، وما كان إصرارهم على غزو المدن الغالية جنوباً إلا لكي يبلغوا البحر المتوسط ، وينهلوا من خير التجارة التي تمر خلاله ، ولذلك ظهرت في دولتهم موانئ مهمة على ساحله مثل: مارسيليا وأرل.

وكان من الطبيعي أن يتجهوا بأبصارهم نحو نهر الدانوب شرقاً ، لينالوا حظهم من تجارته ، عالمين أن مفتاحها يكمن في الحوض الأعلى لهذا النهر ، ولكن السؤال الذي يجدر طرحه هو: هل كان لنهر الدانوب أهمية تجارية تجعل الميروفنجيين يُجاهدون لبلوغ ضفافه؟

(٧) يُعد جريجوري التوري أبا التاريخ الفرنجي، وُلد في مدينة كليرمون بين سنتي ٥٣٨ - ٥٣٩م، ويرجع إلى أسرة غنية أنجبت العديد من الأساقفة ورجال الدين، وقد تولى جريجوري عدة كراسٍ أسقفية في غالة، حتى استقر به المقام في مدينة تور، التي توفى فيها عام ٥٩٤م، واقترن اسمها باسمه، وقد شرع جريجوري في وضع مؤلفه عن تاريخ الفرنجة سنة ٥٧٣م، وانتهى منه سنة ٥٩١م، وهو يُعد من المؤلفات النمطية التي تبدأ من قصة خلق العالم، وقد غلبت عليه المسحة الدينية ، والتأثر بمعجزات القديسين، على أنه يكتسب أهمية كبيرة إذ أرخ للفرنجة الأوائل، وفصل لقيام مملكتهم الميروفنجية ، راجع:

Les grandes chroniques de France, vol. 2, pp. iv- vii.

(٨) Grégoire de Tour, Histoire, t. 1, liv. 2, pp. 98, 102- 103.



التجارة والملاحة في نهر الدانوب حتى القرن السادس الميلادي:

كان لنهر الدانوب أهمية تجارية وملاحية ترجع إلى عصور سحيقة قبل ظهور الإمبراطورية الرومانية^(٩)، حيث استخدمه الإغريق منذ القرن السادس قبل الميلاد لاستغلال القَصْدِير من شمالي أوروبا، ثم استعملوه بعد ذلك في تجارة الحديد ، وكانوا يحملون بضائعهم على مراكب ، تسير من خلاله ، أو فوق عربات تجرها الثيران ، تسير بإزاء النهر أيضًا^(١٠).

(٩) يُعد نهر الدانوب ثاني الأنهار العظمى في أوروبا بعد نهر الفولجا ، حيث ينبع من منطقة تقع شرقي نهر الراين تُعرف بالغابة السوداء التي تُمثّل الحوض الأعلى من النهر ، ممتدًا حتى سهول بانونيا Panonia وهنغاريا Hungary حيث الحوض الأوسط ، وصولاً إلى مؤيزيا Moesia حيث الحوض الأدنى ، ليشكل بعدها دلتا كبيرة جدًا ، تُمثّل اليوم دول رومانيا ومولدوفا وجزء من أوكرانيا ، بعدها يُلقَى الدانوب مياهه في البحر الأسود من خلال عدة مصبات أهمها سولينا Solina ،

Strabo, Geography, Vol. 1, pp. 447 – 448; see: Wilkes (J.), the Danubian Balkan provincs, art. pp. 545– 585, in "C. A. H.", p. 545 and after; ----the Roman Danube: An Archaeological Survy, art. pp. 124– 225, in "J. R. S.", vol. 95, p. 124 and after;

ويُعد المؤرخ الروماني سالست Salluste (٨٦ - ٣٤ ق.م) من أوائل المؤرخين الرومان الذين تنبهوا لأهمية هذا النهر ، وقد أطلق عليه اسم "استر" Ister ، وجعله ثاني أكبر الأنهار في العالم الروماني بعد نهر النيل ، راجع:

F. G. De Pachtere, Salluste et la découverte du Danube, M. A. H, t. 28, pp. 79–87.

(¹⁰) Schwab (H.), Une hypothèse séduisante de la Cornouailles à Corinthe: Un route de l'étain, art. dans "les routes commerciales", le courrier de l' Unesco, Dakar (Sénégal), (Juin -1984), pp. 11– 12.



وكان لهذا النهر أهمية كبيرة عسكرية وإستراتيجية للإمبراطورية الرومانية في القرون الثلاثة الأولى من تاريخها ، حيث اعتبرته حدًا شماليا لها ، يفصل أقاليمها الغنية عن القبائل الجرمانية الضاربة شمالي النهر^(١١).

وقد استثمر الرومان خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين الملاحه في نهر الدانوب^(١٢) ، ومهدت لهم سيطرتهم على أقاليم داكيا وتراقيا ومؤيزيا التحكم في تجارته، ونظّموا قوانين سهّلت على الثّجّار السير بمراكبهم خلاله في حرية ، بل وأتاحت لهم تشكيل جمعية أو نقابة لتنظيم معاملاتهم التجارية والمالية حوله " *Nautae univrsi danuvii* ^(١٣).

كانت تُنقل عبر نهر الدانوب بضائع قادمة من سواحل البحر الأسود (بنطس) ، ومن شمال الأناضول ، وجنوبي روسيا ، مثل: الخشب والشمع والفواكه، فضلاً عن الحُبوب^(١٤) ، كما نُقلت من خلاله تجارة العنبر التي كان مصدرها سواحل بحر البَلطِيق شمالاً^(١٥).

وكانت البضائع القادمة سواء من البحر الأسود أم من البلطيق ، تصل إلى نهر الدانوب، ثم تُنقل من خلاله إلى اليونان ومنها إلى دلماشيا في البلقان ، ومن ثم إلى

(١١) بذل الأباطرة الرومان حتى القرن الثالث الميلادي جهودًا مضنية لتدعيم نهر الدانوب بالحصون والفرق العسكرية، كي يحولوا دون عبور الجرمان له، راجع: سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٨١ - ٢٨٤.

(١٢) Freed (D.), Trade routes of the Roman empire, Canada, 1941, p. 14.

(١٣) Bounegru (O.), Trafiquants et navigateurs sur le bas Danube et dans le pont gauche à l'époque romaine, Germany, 2006, pp. 26, 41, 53.

(١٤) السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٨.

(١٥) Rauing (W.), Un reseau extensive: la route de l'ambre, art. dans "les routes commerciales", le courrier de l' Unesco, Dakar, (Juin - 1984), pp. 13- 14.



موانئ إيطاليا على ساحل البحر الأدرياتي ، وأهمها ميناء أكويليا Aquileia في القسم الشمالي منه ، وبعدها إلى البحر المتوسط^(١٦).

وقد استخدم الرومان نهر الدانوب للاتجار مع الجرمان في الأصقاع الشمالية الشرقية من أوروبا وصولاً إلى سواحل البلطيق ، ظهر هذا من خلال معاهدات كان قد عقدها الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠ م) ، وولده الإمبراطور كومودوس (١٨٠ - ١٩٦ م) مع قبائل الماركوماني Marcomani ، والقوادي Quadi ، والسارماتيين (الإيازجي) lazyges ، حيث وضع الرومان لهذه القبائل أوقاتاً معلومة للاتجار مع الإمبراطورية ، كما حددوا لها منافذ معينة على الدانوب يسلكون من خلالها^(١٧)، وضعوا فيها موظفين جمارك ، وحصلوا منها رسوماً وضرائب^(١٨)، على أن الرومان - مع هذا - لم يُغفلوا تجارة البحر المتوسط^(١٩)، الذي كان بحيرة خالصة لهم حتى القرن الخامس الميلادي.

لم يلبث أن تبدل الحال حول الدانوب في القرن الرابع الميلادي ، حين اشتد ضغط القبائل الجرمانية على أقاليم الإمبراطورية المُطلّة على هذا النهر ، ولم تعد هذه القبائل تكتفي بعمل غارات للنهب والسلب ، بل سعت منذ الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي إلى عبور الدانوب والاستقرار في التخوم الواقعة جنوبه^(٢٠).

(16) Rauing, Un reseau extensif: la route de l'ambre, p. 14;

قامت على نهر الدانوب عدة مراكز تجارية في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإمبراطورية، مثل: نيسوس Naissus، وفيليبوبوليس Philippopolis، وسينجيدنوم Singidunum، وأدريانوبل Adrianopolis، وغيرها من المدن التي كانت حلقات وصل بين تجارة البحر الأسود ونهر الدانوب والبحر المتوسط، راجع: Bounegru, Trafiquants et navigateurs, p. 12.

(17) See the details in, Brogan (O.), Trade between the Roman empire and the free Germans, art. in "J. R. S.", vol. 26, p. 2, 1936, pp. 195- 222; Clough (S.) & Rapp (R.), European economic history, U. S. A, 1975, pp. 63- 64.

(18) Brogan, Trade between the Roman empire and the free Germans, p. 196.

(19) Bounegru, Trafiquants et navigateurs, p. 12.

(٢٠) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٦، ج ١ / ٦٤ - ٦٥.



وربما صرفت هذه المتغيرات الثَّجَّار الرومان عن نهر الدانوب ، ومع ذلك لا يمكن الجزم بانقطاع التجارة حول هذا النهر وقتئذ ، والراجح أنها كانت تتواصل أو تتقطع حسب اتصال الحروب الجرمانية أو انقطاعها على ضفافه^(٢١).

ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن الجرمان لم يرغبوا في تدمير الإمبراطورية الرومانية بل سعوا إلى الاستفادة منها ثقافياً ولغوياً واقتصادياً ، وعليه لم يتسببوا في انقطاع التجارة في نهر الدانوب رغم الحروب التي سببها^(٢٢).

وفضلاً عن الجرمان ظهر على مسرح الدانوب غزاة آسيويون رعيون مثل الهون Huns الذين أسسوا دولة مترامية الأطراف ، استغرقت الفترة ما بين الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي إلى ما بعد منتصف القرن الخامس الميلادي^(٢٣)، والأفار Avars الذين أقاموا دولتهم في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ، وبسطوا سيطرتهم على أقاليم نهر الدانوب^(٢٤)، وأخضعوا لسلطانهم القبائل الضاربة حول هذا النهر ، وكان أبرز هذه القبائل: السلاف Slavs^(٢٥).

⁽²¹⁾ Voir details, Lombard, les Métaux dans l'ancien monde, V. 2, pp. 80– 81.

⁽²²⁾ Pirenne (H.), Mahomet et Charlemagne, Bruxelles, 1937, p. 65; Coville (A.), les Villes du moyen âge, Premier article, pp. 15– 22, "J. S.", p. 17.

⁽²³⁾ نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة: د. قاسم عبد قاسم، القاهرة، ١٩٩٧، ج ١/ ١٥٩ - ١٦٠.

⁽²⁴⁾ Baynes (N.), the Successors of Justinian, art. pp. 263– 300, in "C. M. H.", vol. 2, pp. 296– 297; see also, Davidson (G..) and Horváth (T.), the Avar invasion of Corinth, pp. 227– 240, in "J. A. S. C. S. A.", vol. 6, No. 2 (1937), pp. 227– 228;

إسمت غُنيم، دراسات في تاريخ العصور الوسطى: الأفار، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ١٩ وما يليها.

⁽²⁵⁾ شاعت قديماً عدة أسماء للسلاف: Sclavini، و Sclavi، و Slavi، و Sklavenoi، و Sklavoi، راجع: Dvornik (F.), the Slavs: thier early history and civilization, Boston, 1956, p. 42.



السلاف الغربيون وتوطنهم في جوار الميروفنجيين:

كان السلاف من أكثر الأجناس توطناً في أقاليم نهر الدانوب منذ القرن السادس الميلادي ، وهم شعب منفرد عرقياً ، لا ينتمي إلى الجرمان ، ولا ينتمي إلى القبائل الرعوية الآسيوية مثل الهون والأفار^(٢٦)، ولذلك صُنّفوا كفضيل مُستقل من الشعوب الهندو أوروبية.

وقد احتار الباحثون في تحديد الموطن الأول للسلاف ، إذ لم تقدم المصادر الكلاسيكية وصفاً دقيقاً لحدود مضاربيهم الأولى ، على أن الباحثين - من خلال تتبع دلائل أثرية ، واعتماداً على علم اللغة المُقارن - خلصوا إلى رأيٍ ترجيحي مفاده أن السلاف خرجوا من تخوم نهر بريبت Pripet Marshes ، ومن مواضع تتحصر بين أنهار: الإلب Elbe والأودر Oder والفيستولا Vistula وباج Bug^(٢٧).

ومهما يكن من أمر تقاطر السلاف منذ القرن السادس الميلادي على أقاليم نهر الدانوب بداية من مصباته على ساحل البحر الأسود، وصولاً إلى منابعه شرق الراين، خلال ذلك شغلوا الأقاليم الداخلية من شبه جزيرة البلقان، وطبعوها بطابعهم، حتى صارت تُسمى "أرض الصقالبة"^(٢٨). وما يهمننا هنا هو تسليط الضوء على القسم السلافي الذي سكن الحوض الأعلى من نهر الدانوب قرب مملكة الفرنجة الميروفنجيين ، هؤلاء حملوا اسم الفنديين Venedi أو Wends أو Venethi) ، فما هي جنورهم؟ وكيف تناولهم المؤرخون؟

^(٢٦) وسام عبد العزيز فرج، السلاف في شبه جزيرة البلقان وجهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١ - ١٠٨١ م)، مقال ص ١٤١ - ٢٠١، " المجلة التاريخية المصرية"، ج ٣٠ / ٣١، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٤١، هامش (١)؛ وقد استُعيد السلاف من شعوب عديدة، حتى صار اسمهم Slavs مُرادفاً لكلمة "عبودية"، راجع: سعيد عاشور، تاريخ أوروبا، ج ١ / ٥٧.

^(٢٧) Dvornik, the Slavs: thier early history..., pp. 7- 8; Aubin (H.), the Lands east of the Elbe and german colonization eastwards, art. pp. 449- 481, in "C. E. H.", vol. 1, ed. M. Poston, Cambridge, 1966, p. 449.

^(٢٨) Ostrogorsky (G.), Byzantium and the South Slavs, art. pp 1- 14, in "S. E. E. R.", vol. 42, N. 98, (Dec. 1963), pp. 5- 6; Charanis (P.), Ethnic changes in the Byzantine empire in the 7th century, in "D. O. P.", vol. 13, 1959, pp. 23- 44.



يُعد المؤرخ الروماني تاكيتوس Tacitus (٥٤ / ٥٥ - ١٢٠ م) من أهم الكتاب الكلاسيكيين الذين أوردوا هذه التسمية^(٢٩) ، عندما وصف شعباً يسكن قرب نهر الفستولا باسم Venedi، وجعل موطنه شرقي مضارب قبائل الجرمان في إسكندناوة، مجاوراً لقبائل اسمها Sarmatians السارماتيين ، وأكد أنهم ليسوا من الجرمان وإن كانوا يتشابهون معهم في اللغة والثقافة والعادات^(٣٠).

وفي إشارة وردت عند إميانوس ماركيلينوس Ammianus Marcellinus مفادها :
"أن العبيد ثاروا ضد سادتهم السارماتيين"^(٣١) ، تناولها بعض الباحثين بالتحليل ، وذكروا أن هؤلاء العبيد الثائرين هم السلاف (الفنديين) تحديداً^(٣٢).

^(٢٩) تحدث كتاب سابقون على تاكيتوس عن الفنديين Venedi أو الفنتيين Venethi، مثل: بليبي الأكبر (٢٣ - ٧٩ م) في كتابه Natural History ، وبطليموس السكندري (بين سنتي ٨٥ - ١٦٥ م) في كتابه Geographia اللذان وضعاً حيزاً شاسعاً لتلك القبائل يمتد بين بحر البلطيق شمالاً ، ونهر الدانوب جنوباً، وبين نهر الفستولا شرقاً، ونهر الأودر غرباً، راجع:

Dvornik, the Slavs: thier early history and civilization, p. 14; Kobylinski (Z.), the Slavs, pp. 524- 544, "N. C. M. H.", vol. 1, p. 527.

^(٣٠) Tacitus, Germania, En. Trans. W. Peterson, London, 1914, p. 331;

يُعد كورنيليوس تاكيتوس من أهم الكتاب الذين تناولوا تاريخ الجرمان قبل قيام ممالكهم في أوروبا ، وهو كان أحد أبناء الطبقة الأرستقراطية في روما ، وكان عضواً في مجلس الشيوخ ، تولى عدة مناصب مثل قنصل وبروقنصل ، كما اختير والياً على آسيا الصغرى، وقد وضع كتابه جرمانيا في عهد الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧ م) ، واستمد ملحوظاته عن الجرمان من خلال القادة الرومان الذين ذهبوا لقتال هذه القبائل خلف الدانوب والراين ، وقد تميز بنظرته النقدية ، خاصة في مقارناته بين المجتمع الروماني والجرماني ، راجع : محمود محمد الحويري ، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ص ٨٤ - ٨٥.

^(٣١) Ammianus Marcellinus, the Roman History, Book, 17, pp. 150- 151;

وُلد ماركيلينوس نحو سنة ٣٣٠ م في مدينة أنطاكية لعائلة نبيلة من أصل يوناني، كان من كبار ضباط الجيش الروماني، وقد صاحب الإمبراطور جوليان في بعض معاركه، وقد توفي في مدينة روما بعد سنة ٣٩٢م، وهو صنف تاريخاً عاماً للإمبراطورية الرومانية، يُعد مكملاً لتاريخ تاكيتوس حيث غطي الفترة بين سنتي (٩٦ - ٣٧٨م)، وإميانوس كان وثيقاً، على أنه كان مؤرخاً واسع الاطلاع، واضح الفكر ونزيه الحكم، انظر: H. D. B., pp. 58- 59; O. D. B., p. 78.



وهذا التحليل يدعم رواية تاكيتوس السابقة عن مجاورة السلاف للساماتيين ، الذين ربما أخضعوهم وجعلوهم تابعين لهم ، حتى ثاروا ضدهم كما ورد عند ماركيلىنوس. وكان مؤرخ القوط في القرن السادس الميلادي جوردانيس Jordanes أكثر تحديداً عندما وسم شعباً أقام بجوار نهر الفستولا باسم Venethi ، وأكد على أن هذا الاسم يعود إلى إحدى قبائل السلاف العديدة ، مثله مثل الأنتيس Antes والاسكلافيني (السلاف) Sclavini^(٣٣).

^(٣٢) ساق هذا الطرح المؤرخ الحديث فرانسيس دفورنيك، وأكد أن ماركيلىنوس قصد تحديداً الفنديين بلفظة Servi Sarmatorum، واعتمد دفورنيك على خريطة قديمة للأقاليم الأوروبية في العصور الوسطى ترجع إلى الفترة بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين تُسمى The Peutinger Map (أو Tabula Peutingeriana) التي وضعت السلاف الفنديين في موضع أطلقت عليه اسم سارماتيا Sarmatia، وذكر الباحث نفسه أن التجار الرومان بلغوا هذا المكان في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، حيث باعوا سكانه سلعاً متنوعة من البضائع الإيطالية، راجع:

Dvornik, the Slavs: thier early history, pp. 29, 55- 56.

^(٣٣) Jordanes, the Gothic History, En. trans. Ch. Mierow, U. S. A, 1915, p. 59;

وقد وردت هذه الأسماء أيضاً Ants و Scavenoi عند المؤرخين البيزنطيين بداية من القرن السادس الميلادي، راجع: Procopius, Secret History, R. Atwater, U. S. A, 1927, book, 18; Das Strategikon des Maurikios, Germ. Trans. E. Gamillscheg, Wien, 1981, p. 313; أما جماعة الأنتيس Antes فهم من السلاف الذين استوطنوا الحوض الأدنى من نهر الدانوب، وأقاموا مملكة صغيرة في القرن السادس الميلادي ، دامت حتى سنة ٦٠٢م عندما قضى عليها الأفار، وقد كان السلاف الأنتيس حُلفاء للإمبراطورية البيزنطية،

Theophylact Simocatta, History, book, 8; see also, Dvornik, the Slavs, pp. 34- 36, 38;

وجوردانيس يُعد من المؤرخين الأوائل ذوي الأصول الجرمانية، يرجع نسبه إلى أسرة قوطية نبيلة أقامت في مدينة رافنا الإيطالية، وربما تولى منصباً أسقفياً في هذه المدينة، وقد أرخ لتاريخ القوط وتناول جنورهم وهجراتهم، ويعتقد بعض المؤرخين أن جوردانيس وضع مؤلفه سنة ٥٥١م، ورغم ضحالة تعليمه، وعدم إحاطته كما يجب باللاتينية وآدابها، غير أن جوردانيس قدم لنا في كتابه معلومات مهمة عن جذور السلاف الفنديين، ومواطنهم القديمة: Jordanes, the Gothic Hist., the introduction, p. 1- 18.



وأكد الأمر نفسه كل من: كاتب سيرة الأسقف كولمبانوس Columbanus^(٣٤) والمؤرخ البرجندي فريديجير Frédegair^(٣٥) في ثنايا وصفهما للقبائل المُقيمة في الجنوب الشرقي من إقليم ثورنجيا Thuringia الفرنجي ، فأطلقا عليها اسم الفنديين Vénèdes ، وذكرنا أنها تنتمي إلى جنس السلاف Esclavons . ونخلص مما سبق إلى أن "الفنديين" كانوا فرعاً من قبائل السلاف ، استوطنوا وسط أوروبا في حيز يمتد من جنوب جبال الكريات إلى الضفة الشمالية لنهر الدانوب، في الحوض الأعلى منه^(٣٦)، وبذلك حُق لهم أن يحملوا اسم "السلاف الغربيين" ، تمييزاً لهم

(34)Gonas of Babbio, Life of St. Columban, Ed. D. Munro, U. S. A, 1895, p.33; والأسقف كولمبانوس (عاش بين سنتي ٥٣٩-٦١٥م) وُلد لأسرة أيرلندية نبيلة ، وانكب في شبابه على طلب العلم، ثم وهب نفسه لخدمة الكنيسة ، وقد صار من أشهر أساقفة القرن السادس الميلادي في الغرب الأوروبي ، حيث تنقل بين إنجلترا وغالة وإيطاليا ، وأنشأ العديد من الأديرة، أهمها دير بابيو Babbio في شمال إيطاليا ، وبذل جهوداً مُضنية لنشر المسيحية بين القبائل الوثنية حول نهري الراين والدانوب ، وقد دَوّن سيرته جوناك Gonas الذي كان راهباً في دير بابيو ، وذلك بين سنتي ٦٣٩-٦٤٢ م ، راجع:

King (R.), A Primer of the history of the holy catholic church in Ireland, Dublin, 1945, vol. 1, pp. 249- 275; see, Curta, the Making of the Slavs, p. 61.

(35) Frédegair, Chronique, Trad., M. Guizot, dans " M. G. T.", t. 2, p. 196; لم يعرف أحد الكثير عن فريديجير ، لكن الذي يُمكن استنباطه من حوليته : أنه كان أحد رهبان مدينة أفينش Avenches ، في مقاطعة برجنديا ، وقد توفي بعد سنة ٦٥٨ م ، وكان يُشار إلى كتابه على أنه صلة أو تنمة لتاريخ جريجوري التوري ، وهو يُغطي الأحداث في الفترة من سنة ٥٨٤م إلى سنة ٦٥٨م ، وقد طُرِح اسم فريديجير أول مرة في القرن السادس عشر كمؤلف لهذا الكتاب ، وهو يتميز بحسه النقدي ، إذ أكد أنه كان يتقصى الأخبار التي تصله، ويتحقق من صحتها ، ويبدو أنه استمد أخباره من القساوسة والرهبان الذين ارتحلوا إلى السلاف الغربيين بغرض نشر المسيحية ، راجع:

Les grandes chroniques de France, Ed., J. Viard, Paris, 1922, vol. 2, pp. viii-xiii; Frédegair, Chronique, notice sur Frédegair, pp. 155- 158.

(36) Frankish Cosmography, ed. H. Pertz, 1845, p. 267. (<http://www.jassa.org>); see also, Barford (P.), the Early Slavs, U. S. A, 2001, p. 57.



عن أقرانهم الشرقيين الذين استوطنوا سواحل البحر الأسود ، واختلطوا بالروس ، وتمييزاً لهم عن أقرانهم الجنوبيين الذين استوطنوا البلقان^(٣٧).

ومما لا شك فيه أن الأماكن التي حلّ فيها السلاف الغربيون ، واختلاف المؤرخين الأقدمين في أسمائها ، إنما يعود إلى تنقل السلاف من موطن إلى آخر بتتابع الحقب التاريخية ، فقد كانوا يستوطنون المواضع التي تُخليها قبائل الجرمان خلال نزوحها نحو الغرب الأوروبي.

ولذلك أمكنهم في القرن السادس الميلادي عبور نهر الإلب من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ، واستقروا في السهول الواقعة بين أنهار الإلب وأوتريتش والسال والدانوب ، حيث إقليما بوهيميا Bohemia ، ومورافيا Moravia^(٣٨) ، ونفذوا إلى نهر الدانوب من

(37)Thompson (J.), Early trade relations between the Germans and th Slavs, art. pp. 543– 558, "J. P. E", vol. 30, N. 4, Aug. 1922, U. S. A, p. 550, Note. 2; Lombard, les Métaux dans l'ancien monde, vol. 2, p. 85; see also, Pohl (W.), Justinian and the Barbarian kingdoms, pp. 448– 476, in "the Cambridge companion to age of Justinian, ed. M. Maas, Cambridge, 2006, p. 470.

(38) من القبائل الجرمانية التي سكنت هذه السهول في القرن الخامس الميلادي قبل قدوم السلاف الفنديين: الهيرولي ، والروجيين ، واللمبارديين ، ولفترة محدودة الثورنجيين ، راجع:

Hoensch (J.), Histoire de la Bohême des origins à la revolution de Velours, traduit. franç. F. Laroche, Paris, 1995, pp. 23– 25;

مورافيا هي مقاطعة تقع في الجزء الشرقي من دولة التشيك حالياً، وأخذت اسمها من نهر مورافا الذي يمر خلالها، وهو نهر يبلغ طوله نحو ٣٥٠ كم، ينبع من شمال غرب بلاد التشيك، ويصب في نهر الدانوب عند مدينة براتيسلاف السلوفاكية، وكان من الأنهار الصالحة للملاحة والتجارة، راجع:

Hoensch, Histoire de la Bohême, pp. 8– 9;

أما بوهيميا فتشغل الأجزاء الغربية والوسطى من دولة التشيك ، وهي تشرف على الحوض الأدنى من نهر أوترش ، ويظن البعض أنها أخذت اسمها من شعب سلتي قديم كان يُسمى بوي Boii ، فصارت بوهيميا تعني "أرض البوي" ، راجع:

Dvornik, the Slavs: thier early history and civilization, p. 32; Strezelczyk (J.), Bohemia and Poland, pp. 514– 535, in "N. C. M. H.", vol. 3, p. 516.



خلال المدينة التجارية المهمة راتيسبون Ratisbon ، وكانت تجاورهم قبائل الصرب Sorabes التي عُدت أيضًا من السلاف ، على أنها حالفت الميروفنجيين ، ودفعت ضريبة سنوية إليهم^(٣٩).

ونلاحظ أن هذه المواضع الأخيرة التي استوطنها السلاف الغربيون إنما تجاور إقليمين ميروفنجيين في حوض الدانوب الأعلى ، هما: ثورنجيا وبافاريا ، اللذان كانا تابعين للفرنجة الشرقيين أو مملكة أوستراسيا منذ القرن السادس الميلادي^(٤٠). وليس لدينا معلومات تفصيلية عن المجتمع السلافي في مورافيا وبوهيميا أو عن تنظيمهم السياسي ، ويرجع هذا إلى قلة المصادر التي تحدثت عنهم ، ويُعد الكتاب البيزنطيون أفضل من وصف المُجتمعات السلافية ، غير أنهم صرفوا اهتمامهم إلى الحديث عن سلاف الأحواض الوسطى والدنيا من نهر الدانوب- نقصد إقليم البلقان، وشبه جزيرة اليونان- ولم يُعنوا بالحديث عن سلاف الحوض الأعلى لهذا النهر.

وإذا كان أصل السلاف واحدًا فإن مجتمعاتهم - ولا ريب- تتشابه في الجذور والعادات والأعراف وإن اختلفت مواطنهم ، ولهذا يمكن الاعتماد على أوصاف الكتاب البيزنطيين لمجتمعات السلاف في البلقان وغيرها من أقاليم الدانوب ، ثم طرح هذه الأوصاف على مجتمع السلاف الغربيين.

(39) Huguenin (A.), Histoire du royaume mérovingien d' Austrasie, Paris, 1962, p, 369; Dvornik, the Slavs, pp. 33- 34; Kobylinski, the Slavs, p. 532;

قبيلة الصرب البيضاء استقرت في القرن السادس الميلادي قرب نهر الإلب في المضارب الواقعة شمالي الدانوب، على أن فرعًا منهم عبر إلى جنوبي الدانوب (شمال غرب دلماشيا) ، وترجع أصولهم إلى قبائل السلاف، انظر: قسطنطين بورفيروجنيتوس ، إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة: د. محمود سعيد عمران ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٣ - ١٢٧؛

Frédégaire, Chronique, p. 212; see also, Dvornik, the Slavs, p. 27.

(40) Huguenin, Histoire ..., p. 369; Van dam, Merovingian Gaul, see the map, p. 196.



وقد عُرف عن السلاف - كما وصفهم الكتاب البيزنطيون - طول القامة ، والقوة البدنية ، والبشرة الداكنة ، وشعر الرأس الضارب إلى الحمرة ، وقدرتهم على تحمل الضائقة والمُعاناة والبرد ، كما عُرف عنهم السكنى في أكواخ بسيطة متباعدة ، ومجاورة الأنهار والغابات ، والعيش في قبائل متفرقة ، وأنهم لا يحتكمون إلى حاكم واحد ، أو قانون جامع ، وكانوا وثنيين يُقدسون إله البرق ، ويقربون إليه بذبح الحيوانات ، ويظنون أن هذا المعبود يسكن الغابات ، ولذلك كانت مجاورتهم للغابة بمثابة حماية لهم وطمأنينة^(٤١).

وكان السلاف الغربيون يسكنون قُرى صغيرة ، ويعتمدون في معيشتهم على الزراعة^(٤٢)، وكانوا يستخلصون العسل من النحل البري ، وقد اكتسبوا من الإقامة بجوار الغابات مهارة قطع الأخشاب وممارسة الفَنص ، وكانوا بارعين في صناعة الفخار والجلود أكثر منهم في صناعة الآلات المعدنية^(٤٣)، على أنهم كانوا يبيعون بضائعهم البسيطة على سواحل نهر الدانوب.

ولم يقف أحد على لغة السلاف الغربيين وثقافتهم ، حيث لم تعرض المصادر البيزنطية ولا الغربية لهذا الأمر ، وقد حاول الباحثون استجلاء هذه القضية ، وفتشوا عن بدايات اللغة السلافية ، واتخذوا من التنقيبات الأثرية سبيلاً لهم ، وكذلك إفادات علم اللغة المقارن ، الذي سعوا من خلاله إلى البحث عن أسماء المدن والأنهار في الأماكن التي استوطنها السلاف ، ومعرفة متى صارت تُنطق باللسان السلافي؟

(41) See Procopius, History of the Wars, En. Trans, H. B. Dewing, U. K, 1962, vol. 7, pp. 269, 271, 273; Das Strategikon des Maurikios, p. 313.

(42) Fine (J.), A Critical Survey from the 6th to late 12th cent., U.S.A, 1991, p.69; Johaneck (P.), Merchants, Markets and towns, in "N. C. M.H.", v. 3, pp. 66- 67.

(43) Hoensch, Histoire de la Bohême, pp. 26- 27;

وربما هذا يفسر إشارة بعض الكتاب البيزنطيين إلى بساطة الأسلحة التي كان يستخدمها السلاف في المعارك، راجع:

Procopius, Hist. of the Wars, vol. 7, p. 271; Theophylact Simocatta, book, 6.



ومن النتائج التي خلصوا إليها أن السلاف على طول نهر الدانوب خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين ، لم تكن لهم لغتهم الخاصة ، على الأقل المكتوبة، وإنما استعملوا لغات الشعوب التي خضعوا لها، وتأثروا بثقافتها، ولذلك كانت اللاتينية هي السائدة بين السلاف، وكيف لا وهم يُعدّون فرعاً من فروع الشعوب الهندو أوروبية^(٤٤)؟
ويُمكن القول: إن سلاف الحوض الأعلى للدانوب تأثروا بثقافتين: الثقافة الأفارية شرقاً والثقافية الفرنجية غرباً ، وإن كانت لغتهم السائدة هي اللاتينية ، وقد توطن بينهم عدد كبير من الفرنجة ، كان لهم نفوذ واضح ، وهذا يُفسر لنا كيف صار واحد من رعايا الفرنجة ملكاً على السلاف كما ستعرض الدراسة لاحقاً!

والمعروف أن قبائل السلاف حول نهر الدانوب دخلت في طاعة الأفار عندما أقاموا دولتهم في سهول هنغاريا في منتصف القرن السادس الميلادي^(٤٥)، هذا في الوقت الذي لم تهتم بيزنطة بتجارتها في الدانوب خلال عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، بقدر تركيز ناظرها نحو تجارة البحر المتوسط ، حيث كانت الأساطيل البيزنطية تُكافح منذ حين للسيطرة على سواحله^(٤٦).

(44) See the details in, Curta, the making, p. 344;--- The Slavic lingua franca (linguistic notes of an archaeologist turned historian), art. in "E. C. E.", Vol. 31, Part 1, 2004, pp. 125-148; Barford (P.), Slavs beyond Justinian's frontiers, art. in "S. S. B. P.", No. 2, 2008, pp. 21- 32 ; Kobylinski, the Slavs, p. 529 and after.

(٤٥) ذكر المؤرخ البيزنطي جون أسقف أفيسوس أن الأفار صاروا في عهد الإمبراطور تيبيريوس (٥٧٨ - ٥٨٢ م) متحكمين في ضفتي نهر الدانوب ، راجع:

John of Ephesus, Ecclesiastical History, Part. 3, Trans. R. P. Smith, Oxford, 1860, p. 442; Voir, Hauptmann (L.), les Rapports des Byzantins avec les Slaves et les Avars pendant la seconde moitié du VI siècle, B Z, t. 4, pp. 137- 170.

(٤٦) أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ، ص ٣٧ - ٤١؛ اسمت غنيم ، إمبراطورية جستنيان ، جدة، ١٩٧٧ ، ص ٥٤ - ٥٦.



غدا السلاف الغربيون أتباعًا للأفار الذين كانوا يعاملونهم معاملة سيئة ، حسبما ورد في رواية المؤرخ البرجندي فريديجير ، حيث ذكر أن المقاتلين الأفار كانوا أحيانًا يقضون فصل الشتاء بين السلاف ، وكانوا يطؤون نساءهم ، ثم لا يعترفون بالأبناء الناتجين عن هذا الأمر ، كما أنهم إذا خاضوا غمار معركة ، صدّروا السلاف في الصفوف الأمامية ، ووقفوا هم (الأفار) في الخلف ، لكي يكونوا بمنأى عن الجراحات والقتل ، فإذا أحرزوا النصر تقدموا ليحوزوا الغنيمة وحدهم ، وزيادة على ذلك كان السلاف يدفعون إتاوة سنوية لسادتهم الأفار ، مما ولّد الضغينة في نفوسهم والكراهية نحو هؤلاء السادة^(٤٧).

ويمكن القول: إن الأفار بعد إخضاعهم للسلاف الغربيين صاروا في جوار مملكة الفرنجة الميروفنجيين في الغرب ، وإذا رغبوا في بسط سلطانهم على هذه المملكة وجهوا قواتهم مع أتباعهم السلاف لقتال الميروفنجيين ، وقد حدث ذلك غير مرة.

وقعت معركة بين الجانبين سنة ٥٦٢م في موضع اسمه نابيليس Nabilis ، وانتهت بانتصار الميروفنجيين^(٤٨)، ثم كانت المعركة الثانية بين سنتي ٥٦٥ - ٥٦٦م، والتي لم تُحدد المصادر لها موضعًا ، وشارك فيها الملك الميروفنجي سيجبرت الأول Sigebert بنفسه ، وكان يقود جيشًا من أجناس مختلفة : سكسون، وبافاريين، وأليمانى ، أما الأفار فكان يقودهم الخاقان بايان Bajan ومعهم السلاف الغربيون ، وغيرهم من القبائل

(47) Frédégaire, Chronique, p. 196; Les grandes chroniques, vol. 2, p. 111;

أطلق فريديجير على الفنديين اسم بيفولسي Bifulci، وذكر أنها تعني المحاربين، وأشار الباحث فلورين كورتا إلى أن الكلمة اشتقت من الجرمانية القديمة من كلمات مشابهة مثل: Felhan, Falh, Fulgum، وتشبه كلمة ترجع للجرمانية الوسيطة Bevelhen ومدلوها: "أفراد يقومون بحراسة غيرهم أو حمايتهم"، ولذلك أعطاها فريديجير صفة حربية، راجع:

Curta (F.), the Making of the Slavs, Cambridge, 2001, p. 60.

(48) Grégoire de Tour, t. 1, liv. 4, p. 205; Huguenin, Histoire, pp. 120- 122;

نلاحظ أن معظم المصادر الفرنجية أطلقت على الأفار اسم الهون، وهي لم تُفرّق بين الشعبين باعتبار أنهما بدو آسيويين .



الضاربة حول نهر الدانوب ، فضلاً عن مرتزقة إسكندنافيين ، وانتهت المعركة بانتصار الأفار ، وسقوط سيجبرت في الأسر ، على أنه نجح في إقناع الخاقان بإطلاق سراحه مقابل فدية ضخمة ، وعقد معه معاهدة سلام^(٤٩).

وقد نصّت المعاهدة على تشكيل مناطق عازلة بين المملكتين: الميروفنجية والأفارية، هي تلك الأماكن التي شغلها السلاف، سواء أكانوا "فنديين" على الضفة الشمالية من نهر الدانوب، أم كانوا "صرباً" على الضفة الجنوبية من النهر نفسه^(٥٠). وأرجح الظن أن هذه المناطق العازلة حوت منافذ لتحصيل الضرائب على القوافل التجارية التي كانت تسير بين السلاف والميروفنجيين ، وخصوصاً التي كانت تسير في نهر الدانوب ، وهذا الأمر يتضح جلياً إذا ألقينا الضوء على ظروف التجارة والملاحة في هذا النهر في ظل الأحداث التي شغلت القرن السادس الميلادي.

كان نهر الدانوب من الخطوط الرئيسة التي تنتقل البضائع من خلالها إلى الفرنجة الميروفنجيين، ويشير المؤرخ الحديث فيستيل ده كولانج F. de Coulanges إلى أن الطرق التجارية ومنها الدانوب لم تتوقف أو تنقطع عنها السابفة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين ، واستشهد بالمراسيم التي أصدرها الميروفنجيون خلال هذه الفترة، التي توضح وجود تجار

(49) Grégoire de Tour, t. 1, liv. 4, p. 211- 212; Huguenin, Histoire, pp. 120- 122;

ذكر المؤرخ البيزنطي ميناندر أن الملك الميروفنجي سيجبرت (٥٦١ - ٥٧٥م) التزم بتزويد الجيوش الأفارية بالدقيق والخضراوات وقطعان الماشية حال مرورها قرب الحدود الفرنجية، ولا يُستبعد إن هذا كان شرطاً فرضه الأفار على الفرنجة لإبرام السلام معهم،

Menander the Guardsman, the History, Trans, R. Blockley, U.K., 1985, pp. 127, 129;

وقد أشار مؤرخ اللبارديين بولس الشماس إلى عدة معارك وقعت بين السلاف والبافاريتين أتباع الفرنجة، انظر:

Paul Diacon, Histoire des Lombards, trad. F. Bougard, Belgique, 1996, liv. 4, pp. 79, 81, 95; see also, Dvornik, the Slavs, p. 60; Hoensch, Histoire, p. 25.

(50) Hoensch, Histoire de la Bohême, p. 25.



أجانب في المملكة : سلاف، وسكسون، ولمبارديين، وسوريين، فضلاً عن التجار اليهود الذين حققوا ثراءً فاحشاً؛ لأنهم كانوا من كبار المقرضين في المجتمع الميروفنجي^(٥١).

وذهب كل من هنري بيرين H. Pirenne وألفريد كوفيل A. Coville في الاتجاه نفسه، زاعمين أن الحروب التي وقعت حول الدانوب بين الميروفنجيين والأفار والسلاف لم تؤدّ إلى انقطاع التجارة في نهر الدانوب ، بل على العكس نشطت تجارة كانت قد شاعت في أوروبا منذ القرن الخامس الميلادي ، ألا وهي تجارة العبيد^(٥٢).

لقد كانت تجارة العبيد من الدعامات الرئيسة للاقتصاد الميروفنجي ، وكان التجار السلاف ينقلون العبيد إلى ألمانيا وغالة عن طريق الحوض الأعلى لنهر الدانوب، وبالمقابل كان التجار الفرنجة ينفذون إلى قبائل السلاف الغربيين في بوهيميا ومورافيا؛ لينالوا حظهم من تجارة العبيد ، وكانوا يسلكون إليهم من خلال عدة طرق: أحدها ينفذ إلى نهر الإلب عبر ممرات إقليم فستقاليا Westphalie الواقع بين نهري الراين والويزر، وآخر يجتاز ثورنجا نحو نهري السال والإلب ، وثالث يعبر بافاريا نحو سلاف التشيك والصرب، ومنها إلى بوهيميا^(٥٣).

كان العبيد الذين يُباعون في غالة رجالاً ونساءً من مختلف الأجناس^(٥٤)، فيحدثنا

(⁵¹) Fustel de Coulanges, Histoire des institutions politiques de l'ancienne France: la monarchie franque, Paris, 1928, pp. 254- 258; pour plus details des marchands syriens voir, Pirenne (H.), la Fin du commerce des Syriens en occident, art. pp. 677- 687, dans " A. I. P. H. O.", t. 2, pp. 677- 679;

ف. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة: أحمد محمد رضا، القاهرة، ١٩٨٥، ج ١، ص ٣٤ - ٣٥.

(⁵²) Pirenne, Mahomet et Charlemagne, p. 65; Coville, les Villes ..., p. 17.

(⁵³) Lombard, les Métaux dans l'ancien monde, vol. 2, p. 85.

(^{٥٤}) يروي المؤرخ المعاصر فريديجير أن بيليشيلده زوجة ملك أوستراسيا ثيوديبيرت الثاني Theudebert، كانت أمة اشترتها الملكة برينهيلده من تجار العبيد بسبب جمالها البارع، وزوجتها من حفيدها ثيوديبيرت سالف الذكر، راجع:

Frédégairre, Chronique, p. 180.



جريجوري التوري عن عبيد سكسون رَاهم يُعرضون في مدينة أورليان Orléans^(٥٥)، وكان هناك أيضًا عبيد ثورنجيون وبرير من شمال أفريقيا وآخرون أنجلوسكسونيون، وقد اعتاد التجار الفرنجة على أن يحملوا هؤلاء العبيد إلى الموانئ الجنوبية : أرل ومارسيليا ليبيعهم إلى تجار البحر المتوسط^(٥٦).

وكان بعض التجار القائمين على هذا الأمر يهودًا، الأمر الذي أغضب الكنيسة، مما حدا بالبابا جريجوري الكبير (٥٩٠ - ٦٠٤م)، أن يرسل خطابًا سنة ٥٩٩م إلى الملكة الميروفنجية برينو (برينهيلده) Brunehaut يحضها على إصدار مرسوم أو قانون يمنع اليهود من تملك المسيحيين والمتاجرة فيهم^(٥٧).

ويمكن القول: إن السلاف هم من كانوا يصنعون المراكب التجارية التي كانت تسبح في مياه الدانوب ، وليس بغريب أن يحتكروا هذه الصناعة بحكم إقامتهم بجوار الغابات، وخبرتهم في قطع الأشجار ، واستخراج الأخشاب منها ، ومما لا شك فيه أن أشكال هذه

⁽⁵⁵⁾ Grégoire de Tour , Histoire, 2, liv, 7, pp. 123- 124; voir aussi, Verlinden (C.), Problèmes d` Histoire économique franque. Le franc Samo, art. pp. 1090- 1095, dans " R. B. P. H.", t. 12, F. 4, 1933, p. 1094.

⁽⁵⁶⁾ Pirenne (H.), les Villes du moyen âge, 1927, p. 22; Mahomet et ...p. 66.

⁽⁵⁷⁾ R. P. R. , Ed. Jaffé, vol. 1, N. 1743, p. 197;

اتخذت الكنيسة وعلى رأسها البابوية موقفًا مُعارضًا من تجارة العبيد ، لكن ذلك لم يمنع استمرار هذه التجارة في المملكة الميروفنجية، كل ما نجحت فيه الكنيسة هو تحويل العبيد الوثنيين إلى المسيحية، على أنها لم تغفر لليهود ممارستهم هذه التجارة ، راجع:

Katz (S.), Pope Gregory the Great and the Jews, art. , in " J. Q. J.", vol. 24, N. 2 (Oct. 1933), pp. 113- 136; Serfass (A.), Slavery and Gregory the Great, art. pp. 77- 103, "J. E. C. S.", vol. 14, N. 1, U. S. A., 2006, pp. 97- 102.

وقد بذل الملوك الميروفنجيون جهودًا كبيرة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين لإجبار اليهود على اعتناق المسيحية، انظر:

Pirenne, Mahomet et Charlemagne, p. 55.



المراكب وأحجامها كانت تتفاوت بما يُناسب المسالك النهرية التي تسلكها ، وأيضًا بما يُناسب البضائع التي تحملها^(٥٨).

العلاقات السياسية والتجارية بين السلاف الغربيين والميروفنجيين في القرن السابع الميلادي، وأثرها على تجارة نهر الدانوب:

استمرت تجارة العبيد بين السلاف الغربيين والميروفنجيين خلال القرن السابع الميلادي ، وتوغل التجار الفرنجة شرقًا بين السلاف لاستجلاب هذه السلعة

^(٥٨) وردت إشارات في بعض المصادر البيزنطية عن اعتماد الأفار على المراكب السلافية خلال حملاتهم على أقاليم نهر الدانوب ، كما اعتمدوا على مراكبهم خلال حصارهم للقسطنطينية سنة ٦٢٦ م ، راجع:

Theophanes, the Chronicle, En. Trans., H. Turtledove, U. S. A., 1982, p. 22;

أيضًا انظر: إسمت غُنيْم ، دراسات في تاريخ العصور الوسطى: الأفار، ص ٤٦ ؛ وقد أشار البعض إلى أن سلاف البلقان امتلكوا أسطولًا تجاريًا على ساحل دلماشيا ، راجع : أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧ - ٤١ .

كما وردت إشارة عند قسطنطين بورفيروجنيتوس مفادها: أن السلاف الشرقيين المُقيمين شمال البحر الأسود اشتهروا بصناعة مراكب اسمها المونوكسيلا، التي مكنتهم من صعود نهر الدنيبر، انظر: قسطنطين بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية، ص ٦٠؛ وكلمة "مونوكسيلا" هي يونانية الأصل تعني قطعة واحدة، دلالة على بساطة أشكال هذه المراكب ، انظر: طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي (٩٤٥ - ١٠٥٤م)، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٤١، هامش (٥٣) ؛ وهناك من أكد على أن هذه المراكب (المونوكسيلا) هي التي استخدمها السلاف في حصار القسطنطينية ، راجع:

Barišić (F.), le Siège de Constantinople par les Avars et les Slaves en 626, pp. 371- 395, "B Z", t. 24, Fas. 2, 1954, p. 386;

وقد شاع استخدام هذه المراكب في نهر الدانوب ، ونرجح أن السلاف الغربيين استخدموها، وهي على الجُملة مراكب صغيرة، يتراوح طولها بين أربعة وعشرة أمتار ، ذات عرض وعمق بسيطين، وقد عُثر على بعضها في سهل لمبارديا الإيطالي، راجع:

Tabariès de Grandsaignes, Deux barques monoxyles anciennes peu connues, pp. 459- 460, "B. S. P. F.", t. 6, No. 9, 1909.



الرائجة^(٥٩)، وكان أحد هؤلاء التجار من يُدعى سامو Samo الذي أثار عدة تساؤلات بين المؤرخين حول شخصيته ونشاطه التجاري.

تُعد حولية المؤرخ البرجندي فريديجير من أهم المصادر التي أمدتنا بتفاصيل عن المدعو سامو ، وحيث إن كاتبها كان من أبناء القرن السابع الميلادي ، وحيث إنه كان من رعايا المملكة الميروفنجية ، فإن روايته عن سامو تلقى العناية والاهتمام.

ذكر فريديجير أن سامو كان أحد التجار الفرنجة ، ويعود أصله إلى مقاطعة سينجو (Sundgau أو Sengau) ، وقد ذهب على رأس جماعة منها في السنة الأربعين من حكم الملك الميروفنجي كلوتير (لوثر) الثاني Clothaire (٥٨٤ - ٦٢٩م)، أي بين سنتي ٦٢٣ - ٦٢٤م للتجارة بين السلاف (الغربيين)، فوجدهم قد ثاروا ضد سادتهم الأفار، فشاركهم ثورتهم ، ولما بدت لهم كفاءته ومقدرته الحربية توجّه ملكاً عليهم ، فحكم بينهم فترة دامت خمسة وثلاثين عاماً^(٦٠).

هكذا بدأ فريديجير روايته عن سامو ، غير أنه لم يكشف بوضوح عن شخصية هذا المغامر وجذوره ، ولم يُحدد في أي موضع نزل بين السلاف الغربيين ، كما لم يتناول التنظيم السياسي والاجتماعي الذي كانت عليه دولته السلافية، الأمر الذي جعل الباحثين في حيرة من أمرهم، فتناولوا هذه القضية بالتحليل والنقد.

^(٥٩) زار التاجر الرحالة اليهودي الأندلسي إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي ألمانيا سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، ورفع لدى عودته رسالة طريفة إلى الخليفة الأندلسي الحكم المستنصر، تحدّث فيها عن البلاد التي زارها، إذ عرّج على بولنده وبلاد التشيك وبلغاريا، فوصف سكانها الصقالبة أجمل وصف، وذكر صراحة أن تجارة العبيد كانت تقد إلى بلاد الفرنجة من هذه البلاد الصقلبية، حيث قصد هو شخصياً لشراء العبيد، ومن المُدهش أن ملاحظات إبراهيم عن المجتمعات السلافية وتجاراتهم كانت دقيقة للدرجة التي طابقت تقريباً ما ورد عنهم في المصادر والحوليات الأوربية، قبل قرنين من زمن رحلته، وقد وردت رسالة إبراهيم هذه في كتاب الجغرافي الأندلسي أبي عبيد البكري، راجع: البكري، المسالك والممالك ، ج ١/ ٣٣٠ - ٣٤٠، ج ٢/ ٩١٤؛ أيضاً انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٨٦، ص ٧٦ - ٨٠.

^(٦٠)Frédégaire, Chronique, p. 197; voir, Les grandes chroniques, v. 2, p. 110, 112.



وقد فند الباحث ت. بيسكر T. Peisker رواية فريديجير ، وذكر أنه أخطأ في التاريخ الذي أورده عن نزول سامو بين السلاف (٦٢٣-٦٢٤م) ، ورجّح بيسكر أن التاريخ الصحيح كان بين سنتي ٦٠٢-٦٠٣ م ، كما زعم أن سامو أقام مملكته في ثورنجيا الميروفنجية^(٦١).
والحقيقة أنه لا يمكن موافقة بيسكر فيما ذكره ؛ لأنه لم يسق دلائل تدعم وجهة نظره ، كما أن فريديجير - وهو معاصر- كان واضحاً جداً فيما يخص نزول سامو بين السلاف ، فذكر أنه وقع في السنة الأربعين من حكم الملك كلوتير أي بين سنتي (٦٢٣-٦٢٤م)، أما فيما يخص إقامة سامو مملكته في ثورنجيا ، فهو أمر لم تثبته المصادر الفرنجية، كما أنه يُخالف رأي جُملة من الباحثين الذين تناولوا القضية عينها ، ولم يخرجوا فيها عن رواية فريديجير ، مثل: فيستيل ده كولانج F. De Coulanges^(٦٢)، وهنري بيرين H. Pirenne^(٦٣)، وكذلك جيمس تومبسون J. Thompson^(٦٤)، وجورج هوينش J. Hoensch^(٦٥)، وزيجنيو كوبيلينسكي Z. Kobylinski^(٦٦)، وفلورين كورتا F. Curta^(٦٧)، وبول بارفورد P. Barford^(٦٨).

أما فيما يخص شخصية سامو فقد ساق الباحثان ألكسندر إيجينان A. Huguenin وشارل فيرليندن Ch. Verlinden طرْحاً مفاده أن سامو لم يكن تاجرًا مغامرًا فحسب، بل كان قائداً عسكرياً مُجرّباً ، والدليل على ذلك المعارك التي خاضها مع السلاف ، والانتصارات التي حققها^(٦٩).

(61) Peisker (T.), the Expansion of the Slavs, "C. M. H.", vol. 2, p. 451.

(62) Fustel de Coulanges, Histoire des institutions politiques, p. 258.

(63) Pirenne, Mahomet et Charlemagne, p. 66.

(64) Thompson, Early trade relations, pp. 543- 545.

(65) Hoensch, Histoire de la Bohême, p. 27.

(66) Kobylinski, the Slavs, p. 540.

(67) Curta, the Making of Slavs, p. 109.

(68) Barford, the Early Slavs, pp. 130- 131.

(69) Huguenin, Histoire du royaume mérovingien d' Austrasie, pp. 120- 122;

ذكر فيرليندن أن سامو كان يعمل بوظيفة عسكرية في البلاط الميروفنجي le Protectorat des Francs ، انظر :

Verlinden, Problèmes d' Histoire économique franque, p. 1093.



وزاد الباحث فرانسيس دفورنيك F. Dvornik الأمر وضوحًا بقوله: إن سامو ورفاقه كانوا موفدين من قبل الملك الميروفنجي لتقديم المشورة والدعم إلى السلاف النائرين ضد الأفار^(٧٠). وهذا طرح له وجاهته، وهو أقرب إلى المنطق؛ إذ ليس من المعقول أن تاجرًا طارئًا على السلاف مثل سامو، يقودهم في الثورة ضد الأفار، ويغدو ملكًا عليهم بين عشية وضحاها، بل الراجح أنه أمر دُبر له في البلاط الميروفنجي، ولا يُستبعد أن سامو كان يحمل دعمًا ماليًا للسلاف، ولا يمنع أنه تخ في صورة التاجر لكي يهرب من رقابة الأفار. وتعود الأحداث في هذه الفترة إلى القول بوجود تحالف بين الميروفنجيين والسلاف الغربيين ضد الأفار، فقد أشار كاتب سيرة الملك الميروفنجي داجوبرت (٦٢٣ - ٦٣٩ م) إلى أن السلاف وغيرهم من الشعوب الوثنية طلبوا مسالمة هذا الملك في ذلك الوقت، والتمسوا أن يستظلوا بحمايته، وهذا يدعم فكرة أن الفرنجة كان لهم نفوذٌ بين السلاف الغربيين^(٧١). وربما شارك البيزنطيون في هذا التحالف، فقد شهدت هذه الفترة مراسلات بين الإمبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) والملك الميروفنجي داجوبرت، تعكس تبادل الود والصداقة بين الطرفين^(٧٢)، ولا يستبعد الباحث دفورنيك أن هذا التقارب كان موجهاً ضد

(70) Dvornik, the Slavs: thier early history and civilization, p. 61.

(71) Vie de Dagobert I, dans " M. G. T.", t. 2, p. 288;

وعن صاحب السيرة فهو مجهول، يذهب البعض إلى أنه كان أحد أساقفة كنيسة سان ديني St. Denis الواقعة شمالي مدينة باريس، وعاش بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وقد استمد معظم أخباره عن الملك داجوبرت من حولية المؤرخ فريديجير، انظر:

Vie de Dagobert I, notice, pp. 269- 270.

(72) Frédégaire, Chronique, p. 208; Vie de Dagobert I, p. 290;

ونلاحظ أن داجوبرت الأول كان ملكًا على أوستراسيا (٦٢٣ - ٦٢٩ م) في حياة والده كلوتير، وبعد وفاة الأخير سنة ٦٢٩ م، صار داجوبرت ملكًا على كل الفرنجة في الأقسام الثلاثة: أوستراسيا، ونستريا، وبرجنديا (٦٢٩ - ٦٣٩ م)، انظر:

Fouracre (P.) & Gerberding (R.), Late Merovigian France: History and Hagiography (640- 720), U. K. & U. S. A, 1996, pp. 13- 14.



الأفار، الذين تحالفوا مع الفُرس، وحاولوا غزو القسطنطينية سنة ٦٢٦م^(٧٣).
وأما عن جذور القائد سامو، فالراجح أنه لم يكن فرنجي الأصل ، بل كان ينتمي
إلى إحدى الأسر الغال- الرومانية^(٧٤)، وقد دفعه حب الطموح والمغامرة لإنجاز هذه
المهمة العسكرية لصالح الملك الميروفنجي داجوبرت ، لكن غلب عليه الطمع بعد ذلك
فأسس لنفسه مملكة عسكرية بين السلاف الغربيين ، شغلت أقاليم من الحوض الأعلى
لنهر الدانوب : بوهيما، ومورافيا ، وربما كارنثيا وجزء من صربيا شرقي نهر الإلب^(٧٥)،
والحقيقة أن مغامرة مثل التي قام بها سامو لم تكن غريبة على عصر الممالك الجرمانية،
حيث كان الحُكم فيه لمن غلب.

(73) Dvornik, the Slavs: thier early history and civilization, p. 62;

لم تكن ثورة السلاف الفنديين هي الأولى ضد الأفار، فقد ثار عليهم سلاف الحوض الأدنى لنهر
الدانوب، راجع:

Menander the Guardsman, the History, p. 219; see, Curta, the Making..., p. 91;
والحقيقة أن فشل الأفار في حصارهم لمدينة القسطنطينية مثل ضربة قاصمة لهم، إذ تضعفت
دولتهم، ووثب عليهم الكثير من أتباعهم، راجع: حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،
القاهرة، ١٩٨٣، ص ٦٢؛ إسمت غُنيم، الأفار، ص ٤٣-٤٨، ٥١-٥٣؛ محمود سعيد عمران، معالم
تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، اسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٧٥.

(٧٤) اتفق عدد من الباحثين على أن المقاطعة التي خرج منها سامو، ترجع لإقليم إينو Hainaut في
بلجيكا، كما أنهم خلصوا إلى أن أصوله لم تكن فرنجية، واستدلوا على ذلك بمراجعة الألقاب التي
شاعت بين الأسر الفرنجية، راجع:

Verlinden, Problèmes d` Histoire, p. 1091; Huguenin, Histoire du royaume
mérovingien, p. 369; Hoensch, Histoire de la Bohême, p. 27; voir plus de
détails dans, Chaloupecky (V.), Considération sur Samo, dans "B. S.", t. 11,
1952, pp. 223- 239.

(75) Dvornik, Slavs: thier early history, p. 61; Curta, the Making of Slavs,
p.109.



ومما يُشار إليه أن التنظيم الاجتماعي والإداري عند السلاف الغربيين قد تطور تحت حكم سامو ، فظهرت طبقة للأمرء، وأخرى للفرسان ، وثالثة للفلاحين، وقد تفاوتت ملكية الأراضي بين هذه الطبقات ، كما بدأت تظهر وظائف تقوم على خدمة الحاكم، وأخرى للخدمات العامة^(٧٦)، ولا يُستبعد أن سامو قد اتّبع في طريقة حكمه نموذجًا يشبه أنظمة الحكم الميروفنجية وإداراتها^(٧٧).

ومن الجلي أن التجارة كانت من أهم الموارد الاقتصادية في هذه المملكة السلافية، ولذلك حرص سامو أشد الحرص على بسط نفوذه على الحوض الأعلى من نهر الدانوب، يتضح هذا من خلال متابعة نشاطه التجاري ، وعلاقاته مع القبائل المُجاورة، فضلاً عن علاقته بالميروفنجيين، وأثر ذلك كله على تجارة نهر الدانوب.

لقد سعى سامو إلى التحكم في تجارة الحوض الأعلى لنهر الدانوب، فدخل في علاقات تجارية مع القبائل المُجاورة خاصة التي ينتمي منها للسلاف^(٧٨)، وصار يبيعها الأسلحة وهي ما انفكت تقاثل بعضها البعض منذ استوطنت ضفاف الدانوب، كما تاجر مع الإسكندنافيين، على أن البضاعة الرائجة للقائد سامو كان يجدها في تجارة العبيد، الذين كان يبيعهم للأقاليم الشرقية في حوض نهر الدانوب، وباعهم للقبائل الواقعة شرقي الراين^(٧٩)، كما صدرهم إلى ثورنجيا وبقية الأقاليم الميروفنجية ، ووجد أيضاً منافذ لبيعهم

(76) Aubin, the Lands east of the Elbe, pp. 449– 450.

(77) See Barford, the Early Slavs, pp. 130– 131.

(78) أضافت حولية روسيا أسماء أخرى لقبائل السلاف التي استوطنت الدانوب ، مثل: التشيك

Gzechs ، و قبيلة الكرواتيين البيضاء ، والصربيين ، والكارنثيين ، ويُمكن القول: إنّ تلك القبائل

كانت مستودعاً لنفوذ القائد سامو ، انظر:

The Russian Primary Chronicle, En, trans, S. Cross & O. Sherbowitz– Wetzor,

U. S. A., 1953, pp. 52– 53; see also, Dvornik, the slavs...., pp. 62– 63.

(79) كانت رحلات الأساقفة في القرن السابع الميلادي التي كانوا يقومون بها لزيارة أضرحة القديسين

الأوائل ، أو قاموا بها لنشر المسيحية بين القبائل الجرمانية ، من أهم المصادر التي قدمت وصفاً



في البحر المتوسط حيث موانئ جنوبي غالة: مارسيليا وناربونه ، فضلاً عن ميناء نابلي في إيطاليا^(٨٠).

ويتضح من خلال سير الأساقفة أن المجتمع السلافي كان وثنيًا في هذا الزمن ، وقد عزم أحد الأساقفة هو كولومبانوس St. Columbanus في بدايات القرن السابع الميلادي على أن يقصد السلاف الغربيين (الفنديين) : "بغرض إجلاء ظلمة عقولهم بنور الكتاب المقدس ، وبغرض توجيه أبصارهم نحو طريق الحق ، وإنقاذهم من ظلام الخطيئة" ، غير أن هذا الأسقف عدل عن عزمه بسبب جفوة قلوب السلاف ، وعدم إقبالهم على المسيحية^(٨١).

وقد حاول أحد تلاميذ هذا الأسقف ويدعى أماندوس Amandus أن يكرر تجربة أستاذه بين السلاف سنة ٦٣٠ م ، غير أنه رجع أيضًا خائبًا ، وأعلن : " أنهم ارتكبوا أثمًا فظيعة، وسقطوا في حبال الشيطان"^(٨٢).

عن ممارسة تجارة العبيد ؛ أحد هؤلاء الأساقفة يُدعى جوجيرسي ارتحل سنة ٦٢٨ م نحو قبائل الكامبري الوثنية ، ورأي تجارة العبيد بينهم، راجع:

Vita Gaugerici episcopi camaracensis, M. G. H. SS. R. M., vol. 3, p. 656.
(⁸⁰)Pirenne, Mahomet et Charlemagne, pp. 66- 67;

عابن أحد الأساقفة - يُدعى بونيتوس - سوقًا كبيرًا للعبيد في مدينة مارسيليا ذلك الوقت ، كما زار أسقف آخر يُدعى إليوي المدينة نفسها، وهاله العدد الضخم الذي رآه من العبيد ، وحاول تحرير بعضهم، راجع:

Vita Boniti episcopi Erverni, M. G. H. SS. R. M, vol. 4, p. 121; Vita Eligii episcopi Noviomagensis, M. G. H. SS., ibid, p. 677;

والمعروف أن اللمبارديين بعد دخولهم إيطاليا سنة ٥٦٨ م سمحوا بِنفاذ الطرق التجارية إليها عبر جبال الألب، وكانت مدينة بافيا مُلتقى للقوافل التي تقدم من شرقي ألمانيا حيث السلاف، أو من غالة حيث الميروفنجيين، راجع:

Lombard, les Métaux dans l'ancien monde, vol. 2, p. 81.

(⁸¹)Gonas of Babbio, Life of St. Columban, p. 33.

(⁸²)Vita Amandi, M. G. H. SS. R. M, vol. 5, p. 440; see, Curta, Making, p. 69.



وأرجح الظن أن سامو كان يُعارض تنصيب السلاف الغربيين؛ لأن هذا الأمر كان يحول دون ممارسة تجارة العبيد ، بسبب موقف الكنيسة الراض لها، ولذلك لا يُستبعد أن سامو ضيق على البعثات التبشيرية التي كانت تقصده من بلاد الفرنجة.

ونلمس من تتابع الأحداث أن العلاقات بين سامو والميروفنجيين لم تكن حسنة وقتئذ، وقد وقعت حادثة زادت الأمور سوءًا ، عندما قصد بعض التجار الفرنجة بوهيميا ومورافيا عام ٦٣١م لشراء العبيد والفراء من السلاف ، وتعرضوا هناك للقتل وسُلبت بضائعهم وأموالهم^(٨٣).

وفي الوقت الذي لم تُوضَّح المصادر الفرنجية سبب قتل هؤلاء التجار ومن كان وراء قتلهم، فقد انقسم الباحثون حول هذا الأمر شيعيًا : فمنهم من أغفل القضية مثل ما فعل أصحاب المصادر^(٨٤)، ومنهم من وجَّه أصابع الاتهام صريحة إلى سامو نفسه ، زاعمين أنه شارك في هذه الجريمة^(٨٥)، وفريق ثالث زعم أن سامو ارتكب هذه الجريمة بسبب ضغينة قديمة كان يحملها نحو الملك الميروفنجي داجوبرت، واتخذ من هذه الواقعة ذريعة لكي يخرج عن سلطانه^(٨٦).

نعم تلك آراء مقبولة ، يدعمها الباحث ويُؤيدها ؛ لقد شارك سامو في هذه المقتلة، سواء دبر لها، أو أوعز بها، أو عرف عنها وعض بصره ، المهم أنه كان مُتورطاً في الدماء التي أريقت من التجار الفرنجة ، ويزيد الباحث على هذا دافعاً اقتصادياً، حرَّك سامو لارتكاب فعلته ، هو أنه كان يطمع في احتكار تجارة العبيد في الحوض الأعلى لنهر الدانوب، ولم يرغب في أن يشاركه ريع هذه التجارة الحكام المجاورون، بمن فيهم الميروفنجيون.

كانت هذه الحادثة نذير بداية الصراع بين الميروفنجيين وبين مملكة السلاف الغربيين الوليدة ، فلم يقبل الملك داجوبرت بالتنسيق على تجار مملكته، ولا غرو أنه عدّ الدولة التي أقامها سامو بين السلاف تابعة له؛ لأنه هو من أوفد سامو ورفاقه لدعم الثوار السلاف ، ولأن سامو نفسه كان أحد رعايا الفرنجة^(٨٧).

(٨٣)Frédégairé, Chronique, p. 210; Vie de Dagobert I, p. 291.

(٨٤)Lombard, les Métaux dans l'ancien monde, v. 2, p. 85.

(٨٥)Verlinden, Problèmes..., p. 1093; Pirenne, Mahomet et Charlemagne, p. 66.

(٨٦)Huguenin, Histoire du royaume, p. 370; Dvornik, Slavs..., p. 61.

(٨٧)Dvornik, Slavs: thier early history, p. 61.



أرسل داجوبرت مبعوثاً من قبله يُدعى سيكر (سيشير) Sichaire إلى سامو لتوبيخه على ما بدر منه ، وتذكيره أنه ومملكته إنما يتبعون الملك الميروفنجي ، وأمره أن يُقدّم الجناة الذين قتلوا التجار الفرنجة إلى العدالة ، على أن سامو لم تُعجبه لهجة المبعوث الفرنجي ، فأمر بطرده في الحال^(٨٨).

رداً على ذلك أرسل الملك داجوبرت جيشاً كان عماده الجنود الأوستراسيون ، واستعان بمقاتلين لمبارديين من إيطاليا^(٨٩)، فضلاً عن مقاتلين من الأليمانى ، لكن هذا الجيش تعرض للهزيمة أمام مقاتلي السلاف الغربيين تحت قيادة سامو في معركة فوجاستيبرج Wogastiburg سنة ٦٣١م^(٩٠).

(٨٨) Frédégaire, Chronique, pp. 210- 211; Vie de Dagobert I, p. 292.

(٨٩) لم يذكر بولس الشماس هذا الأمر، لكنه أكد على وجود علاقات طيبة بين اللمبارديين والفرنجة منذ عام ٥٩٠م:

Paul Diacre, Histoire, liv. 3, pp. 74- 75, liv. 4, pp. 88, 95; voir aussi, Barni (G.), la conquête de l' Italie par les Lombards, Milan - Paris, 1975, pp. 55- 57.

وربما شجع على التقارب الفرنجي للمباردي ما قام به وقتئذ الأفار وأتباعهم سلاف البلقان (الجنوبيون) من هجمات على أملاك اللمبارديين في إيطاليا، لمزيد من التفاصيل راجع: محمود محمد الحويري، اللمبارديون في التاريخ والحضارة (٥٦٨ - ٧٧٤م)، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٠١؛ أسامة زكي زيد، اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة في ضوء كتابات المؤرخ بولس الشماس، مقال ص ١ - ٤٤، دورية كلية الآداب - جامعة طنطا، يناير ٢٠٠١، ص ١٦ - ١٩.

(٩٠) Frédégaire, Chronique, pp. 211- 212; Les grandes chroniques, vol. 2, p.150; voir aussi, Huguenin, Histoire du royaume mérovingien, pp. 373- 374;

غير معروف تحديداً أين يقع مكان المعركة اليوم، وقد وضع له المؤرخ الألماني جورج هوينش عدة تخمينات: فجعله قريباً من مدينة دومازليتسي Domažlice أو جهة مدينة قادن Kaaden في غربي بوهيميا، أو ربما بجوار قرية فوجاستيرود Wugasterode قرب مدينة شتافيلشتين Staffelstein في بافاريا، انظر: Hoensch, Histoire, p. 27.

وقد استغرقت هذه المعركة ثلاثة أيام، وحقق الجنود اللمبارديون والأليمانى تفوقاً على المقاتلين السلاف في بداية القتال ، لكن انقلب الأمر في النهاية إلى تخالز الأوستراسيين وانتصار السلاف،



ويعزو المؤرخ المعاصر فريديجير الهزيمة إلى تخاذل الأوستراسيين عن القتال ، وانسحابهم إلى موطنهم^(٩١)، ثم إعلانهم الثورة ضد الملك داجوبرت؛ لأنهم كرهوا أن يتبعوا ملكاً يقع بلاطه في نستريا^(٩٢)، فهم كانوا يفضلون أن يحكمهم ملكاً ميروفنجياً مستقلاً يجلس بينهم في بلاط أوستراسيا^(٩٣)، وهذا دليل على البون السياسي والثقافي الذي وقع بين فرنجة الشرق وفرنجة الغرب ، للدرجة التي كانوا يرفضون معها توحيد بلادهم.

أتبع سامو انتصاره بأن قام بين سنتي ٦٣٢ - ٦٣٣ م بعدة غارات ناجحة على إقليم ثورنجيا الميروفنجي ، حيث ساق العديد من الأسرى^(٩٤)، وحدث نتيجة لانتصاراته أن انحاز إليه الدوق ديرفان Dervan قائد جماعة السلاف الصربيين المقيمين على الضفة الجنوبية من نهر الدانوب ، وكان تابعاً لمملكة الفرنجة قبل ذلك، وانضم إلى سامو في غاراته على ثورنجيا^(٩٥).

وجه الملك داجوبرت نداءً إلى السكسون ليتصدوا للسلاف الغربيين ، لكنهم اشتروا إسقاط الإتاوة السنوية التي كانت مفروضة عليهم منذ عهد الملك كلوتير (لوثر) الأول (٥١١ - ٥٦١ م)، وهي : خمسمئة رأس من الماشية ، الأمر الذي تردد داجوبرت في قبوله^(٩٦).

وجدير بالذكر أن مؤرخ سيرة الملك داجوبرت لم يذكر خبر الهزيمة التي لحقت بالميروفنجيين ، بل ذكر أنهم انتصروا، والرجل عاد وعارض نفسه عندما ذكر أن السلاف هاجموا بعدها مراراً إقليم ثورنجيا ، فكيف لمنهزم أن ينقلب إلى مهاجم ؟ راجع: Vie de Dagobert I, p. 292.

(٩١)Frédégaire, Chronique, p. 212.

(٩٢)Huguenin, Histoire du royaume mérovingien d` Austrasie, p. 375.

(٩٣)Frédégaire, Chronique, p. 217; See more details in, Fouracre (P.), Francia in the seventh century, art. pp. 371- 396, in "N. C. M. H.", vol. 1, p. 376.

(٩٤)Vie de Dagobert I, pp. 294- 295.

(٩٥)Frédégaire, Chronique, p. 212.

(٩٦)Frédégaire, Chronique, pp. 216- 217; See also, Fouracre, Francia, p. 377.



تحرك الملك داجوبرت بنفسه هذه المرة ، وقاد جيشاً من الجنود النستريين والبرجنديين سنة ٦٣٢ م ، وقاتل الأوستراسيين وألزمهم عصا الطاعة^(٩٧)، وقام نزولاً على نصيحة بعض مستشاريه في أكتوبر سنة ٦٣٣ م بتولية ابنه سيجبرت الذي كان عمره سنتين، ملكاً على أوستراسيا تحت مجلس وصاية ، وقد لاقت هذه الخطوة ترحيباً وحفاوة من الفرنجة الشرقيين ، فأعلنوا أنهم سيقاتلون السلاف بحماسة ، وأنهم لن يدخروا جهداً في الدفاع عن بلادهم^(٩٨).

والحقيقة أن سامو ظل حريصاً على مواصلة غاراته على أراضي الفرنجة ؛ لأن هذه الغارات وفّرت له العديد من الأسرى ، الذين كان يبيعهم عبيداً.

ومما لا شك فيه أن العائد عليه من تجارة العبيد كان وفيراً ، فالعبد الواحد كان يُباع على الأقل بخمسة مثاقيل ذهبية^(٩٩)، وهذا يقودنا إلى قبول رواية أحدهم بأن السلاف استخدموا منذ نهايات القرن السادس الميلادي عملات فضية وذهبية^(١٠٠)، كما أن

(٩٧) Huguenin, Histoire du royaume mérovingien d' Austrasie, p. 375.

(٩٨) Frédégaire, Chronique, p. 217; Vie de Dagobert I, p. 295.

(٩٩) ذكر أحد الأساقفة -يُدعى سيرينوس Sérénus وهو من أسرة غالو رومانية- أنه سقط في الأسر خلال الحرب الأوستراسية، وبيع بخمسة مثاقيل ذهبية، والمثقال الذهبي عند الميروفنجيين كان يُسمى سو Sou، وهو يُساوي تسعة وتسعين فرنكاً فرنسياً حديثاً (طبعاً قبل استخدام اليورو) ،

راجع: Huguenin, Histoire ..., pp. 375- 376;

ومعروف أن الميروفنجيين ومعظم أصحاب الممالك الجرمانية كانوا يسكّون عملاتهم باسم ورسم الأباطرة البيزنطيين خلال القرن السادس، انظر: أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٢٢؛ ثم بدّل الميروفنجيون ووضعوا أسماء ملوكهم منذ عهد الملك كلوتير الثاني (٥٨٤ - ٦٢٩ م)، : Prou (M.), les Monnaies Mérovingiennes, Paris, 1892, pp. xxxii- xxxix.

(١٠٠) Curta, the Making of the Slavs, pp. 181, 318;

ذكر المؤرخ البيزنطي جون أسقف أفيسوس أن المجتمعات السلافية حول نهر الدانوب أصابت غنى فاحشاً، وكان لديها منذ أواخر القرن السادس الميلادي الذهب والفضة، فضلاً عن قطعان الخيول والأسلحة، انظر:



حروبهم المتواصلة سببت شيوع استخدام الأسلحة ، والاتجار فيها ، دلّ على ذلك كميات السيوف والرماح والدروع والفؤوس ورؤوس الأسهم التي عُثر عليها في مقابر بوهيميا ومورافيا وسلوفاكيا^(١٠١).

على أية حال واصل الملك داجوبرت جهوده الرامية إلى صد غارات السلاف الغربيين ، فقام بتعيين أحد نبلاء الأسر المجاورة لنهر الراين يُدعى "رادولف" حاكمًا على ثورنجيا ، وكلفه بكبح جماح السلاف ، الأمر الذي أتمه رادولف على أكمل وجه ، فألحق عدة هزائم بهم عام ٦٣٥م.

على أن الغرور داخله واستغل فرصة وفاة الملك داجوبرت عام ٦٣٨م ، تاركًا ولده سيجبرت ملكًا على أوستراسيا الذي كان صبيًا لم يتجاوز العاشرة ، فأعلن رادولف الخروج عليه ، وسعى إلى إقامة حكم مستقل له في إقليم ثورنجيا^(١٠٢).

وحاول الملك الطفل سيجبرت قيادة جيشه لقتال رادولف ، فالتقى معه سنة ٦٤١م على ضفاف نهر أونسترت Unstrut ، حيث انتصر رادولف ، وأذعن سيجبرت لمطلبه بحكم ثورنجيا كحاكم شبه مستقل^(١٠٣)، وأخطر ما نتج عن هذه المعركة: أولاً: دخل رادولف في علاقات صداقة ومودة مع السلاف الغربيين، وفتح معهم قنوات تجارية^(١٠٤).

John of Ephesus, Ecclesiastical History, Part. 3, p. 432; See also, Michel le Syrien, Chronique, traduit. J.- B. Chabot, Paris, 1901, t. 2, liv. 10, p. 362;

ويمكن القول: إن العُمَلات السلافية في بوهيميا ومورافيا كانت بين تأثيرين: البيزنطي والميروفنجي، وهناك من يُشير إلى أنهم استخدموا النقود البيزنطية طيلة عصر الإمبراطور جستينيان، راجع:

Curta (F.), Southeastern Europe in the Middle Ages, 500–1250, 2006, pp. 47– 48.

⁽¹⁰¹⁾Curta, the Making of the Slavs, p. 193.

⁽¹⁰²⁾Frédégaire, Chronique, p. 218.

⁽¹⁰³⁾Frédégaire, Chronique, pp. 226– 227.

⁽¹⁰⁴⁾Frédégaire, Chronique, p. 227.



ثانيًا: حاول أدواق بافاريا والأليمانى أن يصنعوا مثلما صنع رادولف : فسعوا إلى الاستقلال عن سيادة سيجبرت^(١٠٥).

وبذلك بدأ الميروفنجيون يخسرون نفوذهم في الحوض الأعلى لنهر الدانوب ، في الوقت الذي بلغ السلاف ذروة قوتهم ، وصارت لهم اليد الطولى في هذا الحوض إلى نهاية عهد ملكهم سامو .

ويبدو أن سامو كان قد ترك المسيحية، وتبنى عادات السلاف الوثنية، فقد ذكر فريديجير: "أنه تزوج من اثنتي عشرة امرأة، أنجب له اثنين وعشرين ولدًا، وخمس عشرة بنتًا"^(١٠٦)، وما أن وافته المنية سنة ٦٥٨م حتى تمزقت دولته، ورجع السلاف من جديد إلى الفرقة والشتات^(١٠٧)، وهذا ليس بغريب على مملكة قامت على الحروب والغارات، واستلاب الغنائم.

في غمرة هذه الأحداث استعاد الأفار نفوذهم على السلاف الغربيين ، الأمر الذي فوّته الميروفنجيون، حيث انشغلوا في نزاع داخلي بين ممالكهم الثلاث ، فضيّعوا الفرصة في بسط سيادتهم على جيرانهم السلاف^(١٠٨)، ولكن هل خسروا نصيبهم في تجارة في نهر الدانوب؟

⁽¹⁰⁵⁾ Huguenin, Histoire du royaume mérovingien d` Austrasie, p. 396.

⁽¹⁰⁶⁾ Frédégaire, Chronique, p. 197.

⁽¹⁰⁷⁾ Dvornik, the Slavs...pp. 61- 62; Kobylinski, the Slavs, p. 540.

^(١٠٨) أجريت كشوفات أثرية في إقليمى بوهيميا ومورافيا ، وعُثر على مؤثرات أفارية بقيت حتى نهاية القرن الثامن ، راجع:

Hoensch, Histoire de la Bohême, pp. 28- 29;

كان الخلاف على أشده بين الممالك الميروفنجية الثلاث في الفترة التي امتدت بين سنتي (٦٣٨- ٦٨١م) ، حيث توالى على الحكم فيها صبية لم يبلغوا الحُلُم ، سقطوا ألعوبة في أيدي رؤساء البلاط في كل مملكة ، الذين كانوا أكثرهم من أصحاب المطامع ، وممن يُغلبون مصالحهم الشخصية على مصالح ممالكهم ، ولذلك وقعت بينهم جميعًا حروبٌ متصلة ، وهذه الأحداث جعلت من الصعب تتبع المعاملات التجارية عند الميروفنجيين آنذاك ، راجع:

Pirenne (H.), Contraste économique. Mérovingiens et Carolingiens, art. dans "R. B. P. H.", t. 2, (Fev. 1923), pp. 223- 235.



كما سبق أن ذكرنا فإن تجارة نهر الدانوب كانت تسير أو تنقطع حسب سير الأحداث من حوله ، وكانت تجارته تتأثر بالمتغيرات السياسية والاقتصادية التي تقع للقوى والممالك الأوروبية ، وكانت فتوحات المسلمين من أبرز الأحداث التي غلبت على أوروبا في القرن السابع الميلادي ، فقد انتزعوا سوريا من أيدي البيزنطيين سنة ٦٣٦ م ، ومالوا على مصر فحازوها سنة ٦٤٢ م ، وتوسعوا حتى نهاية القرن السابع على سواحل البحر المتوسط الأفريقية.

لقد خسرت بيزنطة بضياح هذه الأقاليم بضائع مهمة كانت تقد إليها ، مثل: القمح وورق البردي والنبيد وزيت الزيتون^(١٠٩)، وانقطع التجار السوريون عن الارتحال إلى الغرب الأوروبي ، وكان من نتيجة ذلك أن استجلبت بيزنطة بضائعها الضرورية من أقاليم غير تلك التي حازها المسلمون ، فالتهمت حاجتها من الأقاليم المتاخمة للبحر الأسود^(١١٠).

ثم كان ظهور البلغار كقوة جديدة استوطنت الحوض الأدنى من نهر الدانوب سنة ٦٧٠ م، سبباً في تعقيد المشهد السياسي حول هذا النهر ، فصارت هناك ثلاث قوى تُحيط به هي: الأفار والسلاف والبلغار^(١١١)، على أن وجود هذه القوى لم يمنع استمرار التجارة في الدانوب.

^(١٠٩) أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص ١٢٤ - ١٢٥.

^(١١٠) Pirenne, la Fin du commerce des Syriens en occident, pp. 681- 682.

^(١١١) اختلف الباحثون حول أصول البلغار، فمنهم من يقول إنهم أتراك ، ومنهم من يقول أنهم سلاف، وبعض الباحثين يجعلهم خليط بين الجنس التركي الرعوي والجنس الفنلندي ، كان موطنهم الأول شمال البحر الأسود، وخضعوا حتى سنة ٦٤٠ م لسلطان الأفار، ثم استوطنوا أدنى الدانوب ، وشكلوا دولة أكثر تنظيمًا وتحضرًا عن بقية الكيانات السلافية والأفارية الواقعة في حوض نهر الدانوب، راجع: وسام عبد العزيز فرج، السلاف في شبه جزيرة البلقان، ص ١٤٧ - ١٤٩، هامش (١٦)، انظر أيضًا:

Dawson (C.), le Moyen âge et les origins de l'Europe des invasions à l' an 1000, trad. L. Halphen, France, 1960, p. 197; Shepard (J.), Slavs and Bulgars, art. pp. 228- 248, in "N. C. M. H.", vol. 2, pp. 228- 229;

وقد زار الرحالة ابن فضلان بلاد البلغار جوار نهر الفولجا شمال البحر الأسود سنة ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م، وأعطاهم اسم الصقالبة، ووصف عاداتهم، ونظام الحكم عندهم، راجع: ابن فضلان، رحلته، تحقيق: سامي الدهان، ص ١١٣ وما يليها.



ويمكن القول: إن الميروفنجيين في نهايات القرن السابع الميلادي التمسوا حاجاتهم التجارية عند جيرانهم السلاف ، وأيضًا عند بيزنطة- خاصة بعد أن ضيق المسلمون الخناق على موانئ غالة الجنوبية- فسلخوا نهر الدانوب إلى أسواق بيزنطة؛ بحثًا عن الحرير والتوابل والفراء^(١١٢). وبذلك تقلد نهر الدانوب منذ النصف الثاني من القرن السابع الميلادي مكانة تجارية كبيرة ، للدرجة التي جعلت أحد الباحثين يقول: إن هذا النهر حلّ محلّ البحر المتوسط كشريان تجاري^(١١٣)، فصار حلقة وصل تجارية بين الغرب الفرنجي والسلافي وبين الأقاليم الشرقية من أوروبا ، وبين تلك مجتمعين وشعوب سواحل البحر الأسود وسهول الإستبس وبحر قزوين^(١١٤).

كان التجار القادمون من جوار أنهار الفستولا والدنيبر وسواحل بحر قزوين يقصدون ببضائعهم إلى سواحل البحر الأسود ، فإما قصدوا بيزنطة للتجارة فيها ، وإما نفذوا من أحد مصاب نهر الدانوب على البحر الأسود^(١١٥)، وأبحروا فيه غربًا، حتى يمكنهم إلقاء بضائعهم في أسواق حوضه الأعلى حيث الميروفنجيين والسلاف، الذين أرسلوا بدورهم تجّارهم لتقاء الشرق عبر الدانوب للتجارة حول البحر الأسود.

وقد دلّ على ذلك تنقيبات أثرية أجريت في إقليم بوهيميا ، كشفت عن وجود علاقات تجارية بين السلاف الغربيين وجنوبي أوروبا ، وبينهم وبين البلاد الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود ، كما كشفت عن وجود تجارة بينهم وبين الفرنجة

(112)Huguenin, Histoire du royaume mérovingien d` Austrasie, p. 369.

(113) راجع: هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: د. عطية القوصي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٤.

(114)Lombard, les Métaux dans l`ancien monde, vol. 2, p. 87.

(115) راجع وصف قسطنطين بيروفيرجيتوس عن مسير التجار الروس في القرن العاشر إلى سواحل البحر الأسود، ونفاذهم إلى الحوض الأدنى للدانوب، وليس مُستبعد أن هذا الطريق عبر الدانوب كان هو نفسه الذي سلكه التجار قبل ثلاثة قرون، انظر: إدارة الإمبراطورية، ص ٦٣ - ٦٤؛ أيضًا انظر: طارق منصور، الروس، ص ٢٤١ وما يليها.



الميروفنجيين التي كانت تسير عبر نهر الإلب ، أو من خلال المنفذ المهم على الدانوب عند مدينة راتيسبون Ratisbonne^(١١٦).

ولا يُستبعد أن يكون ملوك الفرنجة قد أقاموا نقاطاً جمركية على مدينة راتيسبون ، لكي يُحصّلوا ضرائب على البضائع السلافية والميروفنجية التي تمر من خلال هذه المدينة ، ولا مشاحة أنهم حصّلوا الكثير من الأموال من خلال هذا الأمر^(١١٧).

ومما يُشار إليه أن الميروفنجيين التزموا النظام والاستقرار تحت إدارة رئيس البلاط "ببين هريستال" الذي حارب شعوب ما خلف الراين، واستعاد نفوذ الفرنجة في الحوض الأعلى للدانوب، وقد تسامح بأخبار انتصاراته جيرانه السلاف والمبارديون والبيزنطيون والأفار، فأوفدوا سفراءهم إلى بلاطه يخطبون وُودّه، وكان هو في المُقابل يُسافروهم، ويلقى منهم الترحيب والحفاوة^(١١٨)، ما ترتب عليه أن واصل الميروفنجيون نشاطهم التجاري مع

(116) Hoensch, Histoire de la Bohême, pp. 28– 29;

كانت راتيسبون (ريجنسبرج Regensburg) من أهم مدن إقليم بافاريا، وهي تُشرف على نهر الدانوب، وكانت من بين مدن أخرى، مثل: باسو وفريزنج وسالزبورج، تُمثّل حصوناً حدودية للميروفنجيين، ومراكز مهمة لنقل مؤثراتهم السياسية والثقافية إلى السلاف الغربيين الوثنيين، راجع:

Dvornik, the Slavs: their early history and civilization, p. 74.

(117) ذكر هنري بيري أن ملوك الميروفنجيين حصّلوا أموالاً ضخمة من ممارسة التجارة وفرضهم

ضرائب عليها، راجع: Pirenne, Mahomet et Charlemagne, p. 78;

كما ورد عن شارلمان أنه عندما أقام نقاطاً جمركية على حدوده الشرقية مع السلاف في بداية القرن التاسع الميلادي، جعل من بينها مدينة راتيسبون، وهذا يُرّجح أنها كانت كذلك من قبل، راجع:

Thompson, Early trade relations, pp. 543– 545.

(118) Vie de Pépin – le- Vieux, " M. G. T.", t. 2, pp. 394– 395; voir, Huguenin, Histoire du royaume mérovingien, p. 466 et suivants.

صار "ببين" الثاني رئيساً للبلاط في مملكة أوستراسيا سنة ٦٨١م، وهو الجد الأكبر لأسرة شارلمان، وتمكن بما أوتي له من نكاه وهمة عالية من ضبط الحكم في أوستراسيا، ثم بسط سيطرته على مملكتي نستريا وبرجنديا، ووحد ممالك الفرنجة تحت سلطانه، وطوى الملوك الميروفنجيون تحت ظله، فكان يختار للعرش من يراه مناسباً منهم، ويُيقّيه ملكاً رمزياً، في الوقت الذي أمسك هو بمقاليد الدولة حتى وفاته سنة ٧١٤م، راجع: إينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة: د. عادل زيتون، دمشق، ١٩٨٩، ص ٤٦ – ٤٧، هامش (١).



هذه الشعوب^(١١٩)، خاصة أن تجارتهم في البحر المتوسط بدأت تشهد تراجعاً أواخر القرن السابع وبدايات القرن الثامن الميلاديين.

وما كان ذلك إلا بسبب تناقص البضائع الوافدة إلى موانئ أرل ومارسيليا وناربونة ، بسبب ظهور موانئ إسلامية منافسة على الساحل الأفريقي ، فضلاً عن هذا لقي التجار الفرنجة منافسة من التجار المسلمين فيما يخص تجارة العبيد ، وكان خير دليل على تراجع اقتصاد الميروفنجيين أن ملوكهم صاروا يسكّن العملة من الفضة بعد أن كانت ذهباً^(١٢٠).

ويمكن القول: إن الفرنجة في ظل هذه الظروف التفتوا أكثر نحو التجارة النهرية، وهذا جعل نهر الدانوب أكثر أهمية بالنسبة لهم ، فمن خلاله استجلب التجار الفلفل والبخور والأقمشة العربية والبيزنطية، التي أقبل على شرائها القساوسة وكبار رجال الدولة، وقد وجدوا فيها تعويضاً عن ما كان يجيئهم من البحر المتوسط^(١٢١).

ويتضح مما سبق أن الحوض الأعلى لنهر الدانوب كان ميداناً للتقارب التجاري والثقافي بين الميروفنجيين والسلاف الغربيين، رغم خلافاتهم السياسية والدينية، وهذا الحوض كان قسماً من كيان أكبر هو نهر الدانوب، الذي لم يُمثل أهمية تجارية للسلاف والميروفنجيين وحسب، بل كان شرياناً تجارياً مهماً في القسم الأوروبي الشرقي برمته، وطريق مواصلات بين القبائل التي اجتمعت حوله ، وعاملاً مساعداً على امتزاج ثقافتها المختلفة.

^(١١٩) شهد الربع الأخير من القرن السابع نشاطاً واضحاً لأساقفة الدولة الميروفنجية، الذين خرجوا لينشروا المسيحية بين الأليمان والسكسون والفريزيين، فضلاً عن السلاف الغربيين، والأكيد أن طرق التجارة إلى هذه المناطق كانت مفتوحة، فحيث سار الأسقف يسير التاجر،
راجع: Huguenin, Histoire du royaume..., pp. 507- 512.

^(١٢٠) بدأ الفرنجة يستخدمون منذ أواخر القرن السابع الميلادي عملة فضية مثثة الشكل (Triens)، الواحدة تعادل ثلث قيمة الصوليدي الروماني، انظر: أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص ١٣١- ١٣٢.

^(١٢١) Pirenne (H.), Le commerce du papyrus dans la Gaule mérovingienne, art. pp. 178- 191, " C. R. S. A. I. B. L.", an. 72, No. 2, 1928, pp. 187- 188.

راجع أيضاً: زيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون، كمال دسوقي، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٢- ٢٤.



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية والمعرية:

- إينهارد (ت ٢٢٥هـ / ٨٤٠ م)،
سيرة شارلمان، ترجمة: د. عادل زيتون، دمشق، ١٩٨٩.
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت بعد ٤٨٧هـ / ١٠٩١ م)،
المسالك والممالك، تحقيق: إدريان فان ليوفن، أندري فيري، ١٩٩٢.
- ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس ت بعد ٣١٠هـ / ٩٢٢ م)،
رحلته، تحقيق: د. سامي الدهان، دمشق، د. ت.
- قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٩ م)،
إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: د. محمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٠.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

- Ammianus Marcellinus,
the Roman History, En, trans. C. Yonge, London, 1894.
- Frankish Cosmography, ed. H. Pertz, 1845. (<http://www.jassa.org>)
- Frédégaire,
Chronique, Trad. Franc., M. Guizot, dans " M. G. T.", t. 2, Paris, 1823.
- Les grandes chroniques de France, Ed., J. Viard, Paris, 1922.
- Gonas of Babbio,
Life of St. Columban, Ed. D. Munro, U. S. A, 1895.
- Grégoire de Tour,
Histoire des Francs, Trad. Franc., R. Latouche, Paris, 1963.
- Jordanes,
the Gothic History, En. trans. Ch. Mierow, U. S. A, 1915.
- John of Ephesus,
Ecclesiastical History, Part. 3, En. Trans. R. P. Smith, Oxford, 1860.
- Liber Historiae Francorum, M. G. H. SS. R. M, ed. B. Krusch, Vol. 2.



- Maurikios
Das Strategikon, Germ. Trans. Ernst Gamillscheg, Wien, 1981.
- Menander the Guardsman,
the History, En. Trans, R. C. Blockley, U. K., 1985.
- Michel le Syrien,
Chronique, traduit. J.- B. Chabot, Paris, 1901.
- Paul Diacre,
Histoire des Lombards, trad. franc., F. Bougard, Belgique, 1996.
- Procopius,
-Secret History, R. Atwater, U. S. A, 1927.
-History of the Wars, En. Trans, H. B. Dewing, U. K., 1962.
- Regesta Pontificum Romanorum, Ed. Ph. Jaffé, Lipsige, 1885.
- Strabo, Geography, London, 1854.
- Tacitus, Germania, En. Trans. W. Peterson, London, 1914.
- The Russian Primary Chronicle, En, trans, S. Cross & O. Sherbowitz-
Wetzor, U. S. A., 1953.
- Theophanes the Confessor,
the Chronicle, En. Trans., H. Turtledove, U. S. A., 1982.
- Theophylact Simocatta,
The History, En. Trans., Michael and Mary Whitby, Oxford, 1987.
- Vie de Dagobert I, dans " M. G. T.", t. 2.
- Vie de Pépin – le- Vieux, dans " M. G. T.", t. 2
- Vita Amandi episcopi, M. G. H. SS. R. M, ed. B. Krusch, vol. 5
- Vita Boniti episcopi Erverni, M. G. H. SS. R. M, vol. 4.
- Vita Eligii episcopi Noviomagensis, M. G. H. SS. R. M, vol. 4.
- Vita Gaugerici episcopi camaracensis, M. G. H. SS. R. M , vol. 3.



ثالثاً: المراجع العربية والمُعربة:

- أرشيبالد لويس،
القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠م)، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠.
- أسامة زكي زيد، اللومبارديون وعلاقتهم السياسية بالقوى المجاورة في ضوء كتابات المؤرخ بولس الشماس، مقال ص ١ - ٤٤، دورية كلية الآداب - جامعة طنطا، يناير ٢٠٠١.
- إسمت غنيم، - إمبراطورية جستنيان، جدة، ١٩٧٧.
- - الأفرار: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٤.
- حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٣.
- زيجريد هونكه،
شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، بيروت، ١٩٩٣.
- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، القاهرة، ١٩٨٦.
- سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٩١.
- السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٦٨.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج ١، بيروت، ١٩٧٦.
- طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي (٩٤٥ - ١٠٥٤م)، القاهرة، ٢٠٠١.
- ف. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة: أحمد محمد رضا، القاهرة، ١٩٨٥.
- محمد مرسي الشيخ، الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى، اسكندرية، ١٩٧٥.
- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، اسكندرية، ١٩٨٦.
- معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، اسكندرية، ٢٠٠٠.
- محمود محمد الحويري، - اللومبارديون في التاريخ والحضارة (٥٦٨ - ٧٧٤م)، القاهرة، ١٩٨٦.
- - رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٩٥.
- نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة: د. قاسم عبده قاسم، القاهرة، ١٩٩٧.
- هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: د. عطية القوصي، القاهرة، ١٩٩٦.
- وسام عبد العزيز فرج،
السلامة في شبه جزيرة البلقان وجهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١ - ١٠٨١م)،
مقال ص ١٤١ - ٢٠١، نُشر في المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٣٠ / ٣١، القاهرة، ١٩٨٤.



رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Aubin (H.), the Lands east of the Elbe and german colonization eastwards, art. pp. 449– 481, in "C. E H.", vol. 1, ed. M. Poston, Cambridge, 1966.
- Barford (P.), the Early Slavs: culture and society in early medieval eastern Europe, U. S. A, 2001. Slavs beyond Justinian`s frontiers, art. in "S. S. B. P.", No. 2, 2008.
- Barišić (F.), le Siège de Constantinople par ls Avars et les Slaves en 626, pp. 371– 395, "B Z", t. 24, Fas. 2, 1954.
- Barni (G.), la conquête de l` Italie par les Lombards, Milan, Paris, 1975.
- Baynes (N.), the Successors of Justinian, art. pp. 263– 300, in "C. M. H.", vol. 2.
- Bounegru (O.), Trafiqants et navigateurs sur le bas Danube et dans le pont gauche à l`époque romaine, Germany, 2006.
- Brogan (O.), Trade between the Roman empire and the free Germans, art. in "J. R. S.", vol. 26, p. 2, 1936.
- Chaloupecky (V.), Considération sur Samo, le pmier roi des slaves, art. pp. 223– 239, dans "B. S.", t. 11, 1952.
- Charanis (P.), Ethnic changes in the Byzantine empire in the 7th century, art. in "D. O. P.", vol. 13, U. S. A, 1959.
- Clough (S.) & Rapp (R.), European economic history: the economic development of werstern civilization, U. S. A, 1975.
- Coville (A.), les Villes du moyen âge: Premier article, pp. 15– 22, "J. S.", Jan. 1928.
- Curta (F.), –the Making of the Slavs: History and archaeology of the lower Danube region, 500– 700 A. D, Cambridge, 2001.
The Slavic lingua franca (linguistic notes of an archaeologist turned historian), art. in "E. C. E.", Vol. 31, Part 1, 2004.
–Southeastern Europe in the Middle Ages(500–1250), Cambridge, 2006.
- Davidson (G..) and Horváth (T.), the Avar invasion of Corinth, art. pp. 227– 240, in "J. A. S. C. S. A.", vol. 6, No. 2 (1937).
- Dawson (C.), le Moyen âge et les origins de l'Europe des invasions à l' an 1000, trad. L. Halphen, France, 1960.
- Dvornik (F.), the Slavs: thier early history and civilization, Boston, 1956.
- Fine (J.), A Critical Survey from the 6th to late 12th cent., U. S. A, 1991.



- Fouracre (P.), Francia in the seventh century, art. pp. 371– 396, in "N. C. M. H.", v.1.
- Fouracre (P.) & Gerberding (R.), Late Merovingian France: History and Hagiography (640– 720), U. K. & U. S. A, 1996.
- Freed (D.), Trade routes of the Roman empire, Univ. of British Columbia, Canada, 1941.
- Fustel de Coulanges, Histoire des institutions politiques de l'ancienne France: la monarchie franque, Paris, 1928.
- Hauptmann (L.), les Rapports des Byzantins avec les Slaves et les Avars pendant la seconde moitié du VI siècle, pp. 137– 170, B Z, t. 4.
- Hoensch (J.), Histoire de la Bohême des origines à la révolution de Velours, traduit. franç. F. Laroche, Paris, 1995.
- Huguenin (A.), Histoire du Royaume Mérovingien d' Austrasie, Paris, 1962.
- Johanek (P.), Merchants, Markets and towns, pp. 64– 94, in "N. C. M. H.", vol. 3.
- Katz (S.), Pope Gregory the Great and the Jews, in "J. Q. J.", vol. 24, N. 2 (Oct. 1933).
- King (R.), A Primer of the History of the Holy Catholic Church in Ireland, Dublin, 1945.
- Kobylinski (Z.), the Slavs, pp. 524– 544, "N. C. M. H.", vol. 1.
- Lombard (M.), les Métaux dans l'ancien monde du 5 au 11 Siècle, Paris, 2001.
- Ostrogorsky (G.), Byzantium and the South Slavs, art. pp 1– 14, in "S. E. E. R.", vol. 42, N. 98, (Dec. 1963).
- Peisker (T.), the Expansion of the Slavs, art. pp. 418– 457, in "C. M. H.", vo. 2.
- Pirenne (H.), –Contraste économique. Mérovingiens et Carolingiens, art. dans "R. B. P. H.", t. 2, (Fev. 1923).
 - les Villes du moyen âge, Bruxelles, 1927.
 - Le commerce du papyrus dans la Gaule mérovingienne, art. pp. 178– 191. Dans "C. R. S. A. I. B. L.", an. 72, N. 2, 1928.
 - la Fin du commerce des Syriens en occident, art. pp. 677– 687, dans "A. I. P. H. O.", t. 2, Paris, 1933– 1934.
 - Mahomet et Charlemagne, Bruxelles, 1937.
- Pohl (W.), Justinian and the Barbarian kingdoms, art. pp. 448– 476, in "the Cambridge companion to age of Justinian, ed. M. Maas, 2006.



- Prou (M.), *les Monnaies Mérovingiennes*, Paris, 1892.
- Rauiing (W.), Un reseau extensive: la route de l` ambre, art. dans "les routes commerciales", le courier de l` Unesco Dakar (Sénégal), (Juin -1984).
- Schwab (H.), Une hypothèse séduisante de la Cornouailles à Corinthe: Un route de l`étain, art. dans "les routes commerciales", le courier de l` Unesco, Dakar (Sénégal), (Juin -1984).
- Serfass (A.), Slavery and Gregory the Great, art. pp. 77- 103, "J. E. C. S.", vol. 14, N. 1, U. S. A., 2006.
- Shepard (J.), Slavs and Bulgars, art. pp. 228- 248, in "N. C. M. H.", vol. 2.
- Strezelczyk (J.), Bohemia and Poland: two examples of successful western Slavonic state formation, pp. 514- 535, in "N. C. M. H.", vol. 3.
- Tabariès de Grandsaignes, Deux barques monoxyles anciennes peu connues, pp. 459- 460, "B. S. P. F.", t. 6, N. 9, 1909.
- Thompson (J.), Early trade relations between the Germans and th Slavs, art. pp. 543- 558, "J. P. E", vol. 30, N. 4, Aug. 1922, U. S. A.
- Van dam (R.), Merovingian Gaul and the Frankish conquests, art. pp. 193- 231, in "N. C. M. H." vol. 1, Cambridge, 2006.
- Verlinden (C.), Problèmes d` Histoire économique franque. Le franc Samo, art. pp. 1090- 1095, dans " R. B. P. H.", t. 12, F. 4, 1933.
- Wilkes (J.), the Danubian Balkan provincs, art. pp. 545- 585, in "C. A. H.", Cambridge, 1996.
- Wood (I.), the Roman Danube: An Archaeological Survy, art. pp. 124- 225, in "J. R. S.", vol. 95, 2005.
- Wood (I.), *the Merovingian kingdoms (450- 751)*, London & New York, 1994.